ملخص البحث:

يستهدف البحث في هذه الأضمومة دراسة مَلَامِحَ من السَّرْدِ في الحَدِيثِ النَّبَوِيّ: قِرَاءَةٌ فِي عَدَدٍ من أَحَادِيثِ الرَّسُولِ (ﷺ) بإلقاء الضوء على السَّردُ التَّمثِيلِيُّ في الأَمْثالِ النَّبَوِيَّةِ، من خلال أحاديث المصطفى (ﷺ) الصحيحة مبينا آليات البيان النبوي الكريم، ثم الحديث عن سِيْمِيَاءِ السَّرْدِ في الحديث النبوي: (حَديث السَّفينَةِ نموذجًا) مبينًا سيمياء السرد النبوي، محللًا ذلك تحليلًا تفصيليًّا في دراسة سيميائية فرقتها على قسمين، مصدرة بمقدمة، قائمة على المنهج الوصفي معتمدًا التحليل والنقد، ليخلص إلى جملة من النتائج، أبرزها:

أن دِراسَةَ المُربَّعِ السِّيميائِيّ عَلَى عَلَاقاتٍ مُتَعدِّدَةٍ منَ التَّقابُلِ، والتَّضادِّ بينَ الشَّخْصيَّاتِ، والأماكنِ، والأحدَاثِ، والمَواقفِ، والرُّؤَى، تجسِّد الصِّراعَ الأبديَّ في الكونِ كلّهِ بين قُوَى الخَيرِ وقُوى الشَّرّ، ثَمّةَ قُوَى الخَيرِ المُتمثِّلةُ في أهلِ الإيمانِ، وقوى الشَّرّ المتمثلة في أَهلِ المعَاصِي والمُنكَرَاتِ التي تَضُرُّ بالجَميعِ. هناك بنية سردية عبارة عن مجموع الخصائص النوعية للنوع السردي الذي تنتمي إليه، فهناك بنية سردية روائية وهناك بنية درامية.. كما أن هناك بنى أخرى للأنواع غير السردية كالبنية الشعرية، وبنية المقال. إنَّ التَّعبِير الاستِعَارِيّ أسهم في تَشخيصِ المعَانِي وتجسيدِهَا. والاستعارةُ خاصَّةً بوصفِها عَلَامةً لِسَانيَّةً سِيميائيَّةً كانَ لها حضورٌ لافتٌ؛ فقدْ جسَّدتِ الأبعادَ التَّركيبيَّةَ والدَّلاليَّةَ والتَّداوُليَّةَ في خِطَابِ السّفينَةِ في الحَديثِ النَّبويّ الشّريفِ عَن طَرِيقِ تَجسيدِ المَعَانِي المُجَرَّدَةِ في مَحْسُوسَاتٍ.

الكلمات المفتاحية: السرد– السيمياء – – التمثيل– الشخصيات . الزمان . المكان.

Abstract:

This study aims to explore features of narration in Prophetic Hadith by examining selected sayings of the Prophet (ﷺ). It sheds light on the figurative representation narrative in Prophetic parables by analyzing authentic sayings of the Prophet (ﷺ) and explaining the mechanisms of the eloquent Prophetic discourse. The study further delves into the semiotics of narration in Prophetic Hadith, using the *Hadith of the Ship* as a model. It explores the semiotics of the prophetic narrative, analyzing it in detail in a semiotic study divided into two sections preceded by an introduction. This research paper adopts a descriptive methodology based on analysis and critique. It concludes with several findings, the most prominent of which are as follows. The semiotic square operates through various relationships of opposition and contrast among characters, locations, events, situations, and perspectives. These relationships embody the eternal cosmic struggle between the forces of good and the forces of evil, with good represented by the people of faith while evil is represented by those engaged in sins and wrongdoings that harm society as a whole. The structural elements of narration are defined by the qualitative features of the narrative type to which they belong—such as narrative structures in storytelling and drama. Additionally, there are distinct structures for non-narrative genres, such as poetry and essay structures. Metaphorical expression contributes significantly to personifying and embodying meanings. Metaphor, as a semiotic linguistic sign, plays a pivotal role in the *Hadith of the Ship*, illustrating syntactic, semantic, and pragmatic dimensions by embodying abstract meanings in sensory perceptions.

Keywords: Narration, Semiotics, Figurative Representation, Characters, Setting, Time, Place.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين؛ حث عباده على القراءة والزيادة من العلم؛ فكانت أولَ كلمة نزلت من القرآن الكريم: "اقْرَأْ" وكان الدعاء الأوحد بالزيادة في القرآن المجيد هو طلب العلم؛ فقال –سبحانه–: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]. وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، "خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ". وصلاة وسلاما دائمين متلازمين على خيرِ مَنْ نطق الضاد؛ سيدنا محمد(ﷺ) ، وبعد:

فموضوع هذا البحث الفصاحة النبوية الشريفة، الملائمة للمقامات والمناسبات المختلفة؛ فتدور رحى الدراسة على مطولات كلمه(ﷺ) من منظور نقدي حديث؛ فإن بين أيدينا عددا لا بأس به من أحاديث الرسول (ﷺ) يندرج فيما يعرف بالمطولات فيما لم يكن للعرب به سابق تجربة إلا فيما تناقلوه من أخبار الأمم التي قبلنا في الأساطير والكتب السماوية (التوراة والإنجيل).

هذا البحث جمع عددًا من الأحاديث النبوية الصحيحة التي جاءت على هيئة مرويات سردية وجدناها حين سلطنا عليها الدرس النقدي الحديث تفي تماما بمتطلباته ومقولاته بل إنها تفسر كثيرًا من جدلياته وكأنها حديث البارحة أو مقولات تطبيقية لتلكم الرؤى النقدية التي ولجت أدبنا ونقدنا المعاصر وتلقاها الباحثون والدارسون بكل تمعن وقابلوها بكل حفاوة.

واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في ملخصًا ومقدمة، ودراسة، وخاتمةٌ، وثَبَتٌ لأهم المصادر والمراجع.

أما الملخص: فتضمن بيانات تعريفية بالموضوع وإشكالاته النقدية والفنية والكلمات المفتاحية.

وأما المقدمة فذكرت فيها أسباب البحث، وخطته، والمنهج الذي سرتُ عليه.

وأما الدراسة فجاءت بعنوان: السَّردُ التَّمثِيلِيُّ في الأَمْثالِ النَّبَوِيَّةِ وقد استعرضت فيه عددًا من أحاديث المصطفى (ﷺ) الصحيحة مبينا آليات البيان النبوي الكريم من خلال إيراد مجموعة من أحاديث المصطفى (ﷺ) التي اعتمدت على السرد التمثيلي .

تلاها فهرس المصادر والمراجع.

وجدير بالذكر الإشارة إلى أني اتبعت المنهج الوصفي متكئًا على التحليل والنقد؛ لقدرته على الوفاء بمقصد الدراسة.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وأَنْ يسترني يَوْمَ الدِّينِ.

والحمد لله ربِّ العالمين.

أ. د. خالد بن ربيع الشافعي

السَّردُ التَّمثِيلِيُّ في الأَمْثالِ النَّبَوِيَّةِ

توطئة:

مِنْ فُنُونِ النَّثْرِ السَّرْدِيّ العَرَبِيّ الأَمثَالُ، وَقدِ اِنتَشَرَتْ فِي العَصْرِ الجَاهلِيّ، ومِنَ المَعلُومِ أَنَّ لكُلّ مَثَلٍ قِصَّةً واقِعِيَّةً، أَو خَيَالِيَّةً، تُسَمّى مَورِدَ المَثَلِ، وهيَ سَردٌ بامتيازٍ، يتّسِمُ بتَعدّد صُورِهِ وأَشْكَالِه، وَبيئَاتِه، وشَخْصِيَّاتِه؛ لِذَا ارتبَطَ المَثلُ النّبويّ بهَذَا المِيرَاثِ السَّردِيّ العَرَبيّ، ولَكِنَّهُ اِحتَفظَ لنَفسِهِ بسِمَاتٍ بَلَاغيَّةٍ مَيَّزَتْهُ عَنِ السَّردِ الجَاهِلِيّ والإسلاميّ، وسَردِ الأَمثَالِ عَامَّةً، وقَدِ ارتبَطَتِ الأَمثَالُ النَّبَويَّةُ بالبَلَاغَةِ اِرتِبَاطًا وَثِيقًا؛ فَكِلَاهُما يقُومُ عَلَى عَلَاقَةِ الكُلّ بالجُزءِ، والعُمُومِ بالخُصُوصِ؛ أيْ إنَّهَا عَلاقَةُ التَّضَمُّنِ واللُّزُومِ؛ فَالمُلَاحَظُ أَنَّ خَصَائِصَ المَثَلِ هِيَ نَفسُهَا خَصَائِصُ البلَاغَةِ؛ مِن حَيثُ الإيجاز اللَّفظِيّ، وإِصَابَةُ المَعنَى، وحُسْنُ التَّشبيهِ؛ وهُما مَا جَعَلَا مِنَ المَثَلِ صُورةً بلاغيَّةً سَرْدِيَّةً، تَنبنِي العِبارَةُ فِيهَا عَلَى التَّمثيلِ بالدَّرجَةِ الأَسَاسِ، ويُسَمّيهِ البَلَاغِيُّونَ **التَّمثيلَ المُركَّبَ، أَو مَا أمكنَ تَسْمِيَتُهُ بالتشبيهِ التَّمثِيلِيّ**[1].

ومِنَ المَعلُومِ أَنَّ التَّمثيلَ نَوعٌ مِنَ التَّشبيهِ غيرَ أنَّه بآلةٍ غيرِ آلتِهِ، وعَلَى غَيرِ أُسلُوبِهِ، فكُلُّ تمثيلٍ، بالطَّبعِ، تَشبِيهٌ، وَلَيسَ كُلُّ تَشبِيهٍ، بالتَّأكيدِ، تمثيلًا[2].

ولأنَّ كُلَّ تَمثِيلٍ يتألَّفُ، تركيبيًّا، مِنْ طَرَفَينِ مُتَشَابِهَينِ؛ هما: المُشَبَّهُ، والمُشَبَّهُ بِهِ، يَجمَعُ بينَهُما وجْهُ الشَّبهِ؛ فالعَلَاقَةُ بَينهُما ليْسَتْ عَلَى مُسْتوَى البِنيَةِ، فَحَسْب؛ إذْ يَتَألَّفُ كِلَاهُمَا مِن طَرَفينِ وجَامعٍ بينَهُمَا، بلْ عَلَى مُستوَى الوَظيفَةِ المَعرفيَّةِ؛ لأنَّ وَظيفَةَ كُلٍّ مِنهُما المُقَارَبَةُ؛ أعني مُقاربَةَ طَرفينِ بَعْضِهِما بِبَعضٍ[3].

ومِنَ المَنطِقِيّ أَنْ تَأْتِي هَذِهِ العَلَاقةُ جَدَليَّةً بَينَ التَّرَاكِيبِ المُكوِّنةِ لَهُ؛ أَي العَلَاقَةَ القَائِمَةَ عَلَى القَصْدِ والوَعْيِ، وهِيَ عَلَاقَةٌ قائِمَةٌ عَلَى مَبدَأِ التَّحفِيزِ؛ أيْ تَحفِيزَ المُتلَقِّي

---

١ – يُراجَعُ، مباحث التشبيه والتمثيل في تقسيم والتحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، أُطروحَة دكتوراه، كلية اللغة العربيَّة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م،٢٨٩.

٢ – يُراجَعُ، أسرار البلاغةِ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، جدة –مكتبة المدنيّ، د.ت ص٩٥.

٣ – يُراجَعُ، بنية العقل العربي محمد عابد الجابري .بيروت .لبنان، ط ٦، ٢٠٠٠م،٢٤٣–٢٤٤.

لإثَارَتِهِ للتَّعَرُّفِ عَلَى مَجْهُولٍ بوَسَاطَةِ الإِدْرَاكِ العَقْلِيّ للوُصُولِ إِلَى الدَّلالةِ المَركزِيَّةِ للنَّصّ التي تردُ فيهِ هذهِ العلاقَةُ.

ومِنْ ثَمَّ؛ نَجِدُ التَّمثيلَ قَائمًا عَلَى عمليَّةِ تَعَاقُدٍ بينَ المُشَبَّهِ والمُشبَّهِ بهِ(١)؛ فَالمُشبَّهُ غَائِبٌ ظَاهِرَيًّا عَن بِنْيَةِ السَّردِ، والمُشبَّهُ بهِ هُوَ الظَّاهرُ فيهَا، ولا يُمكنُنَا أنْ نَتَوَصَّلَ إِلَى بِنيَةِ المَثَلِ/ السَّرْدِ القَصَصِيّ، إلَّا بعدَ تَحَقُّقِ التَّرابُطِ بينَ بِنيَتَي المُشبَّهِ والمُشَبَّهِ بِهِ فَيَتَألَّفُ كُلُّ تَمْثِيلٍ بالضَّرورَةِ مِنْ طَرَفَينِ مُتشَابِهَينِ، يَجمَعُهما وَجْهُ شَبَهٍ؛ إذْ يُسَاعِدُ المُشبَّهُ بهِ الظَّاهِرُ في الكَشْفِ عَنْ بَعْضِ سِمَاتِ المُشبَّهِ؛ لذَا تَمَّ وَصْفُ المَثَلِ/ السَّرْدِ القَصَصِيّ بأنَّهُ تَشْبيهُ الأَمرِ المَجهولِ بالمَعلُومِ، والخَفِيّ بالجَلِيّ، ليَزدَادَ المَعنَى إيضَاحًا، وتكشفُ فيهِ غَرابةَ الأَمْرِ وإبهَامَ المَعْنَى، ولَو فِي بَعضِ الوُجُوهِ، ولَا يُمكِنُ فهْمُ الغَرَضِ مِنَ التَّمثيلِ مِنْ دُونِ مُلَاحَظَتهِ في تَركيبَةِ النَّصّ؛ لأنَّ هذهِ التَّركيبَةَ تُوحِي بالوَظيفةِ الإشاريَّةِ لهُ؛ لذا اقتَرنَتِ البَراعَةُ فيهِ بالتَّفطُّنِ إِلَى العَلاقَاتِ الخَفيَّةِ الرَّابطَةِ بينَ عَنَاصِرِ مَوجُودَاتِ النَّصّ(٢)؛ مِمَّا يُولِّدُ العَلَاقاتِ المُختلِفَةَ المُوحيَةَ للمُتلقِّي بإثاراتٍ نفسِيَّةٍ وفنِّيَّةٍ؛ وبذا يُصْبحُ السَّردُ القَصَصِيّ التَّمثيليّ لِدَعوةِ المتلقِّي للولوجِ إِلَى النّصّ السَّرْدِيّ دَعْوةً إِلَى الوُلُوجِ إِلَى مَا ورائيَّاتِ الأَشيَاءِ، وكَسبِ الظِّلالِ الإيحائيَّةِ التي يَبنِيهَا النَّصّ السَّرْدِيُّ؛ إِذْ يَعملُ فِكْرُ المُتَلقِّي فِي التَّمثيلِ بالتَّأمُّلِ والتَّدبُّرِ واقتِنَاصِ الدَّلَالَاتِ، هذا فَضْلًا عَنْ كَونِ هَذَا التَّمْثيلِ يُعطِي قِراءَاتٍ مُتَعدِّدَةٍ؛ نَظَرًا لاختِلافَاتِ ثَقافَاتِ المتلقِّينَ؛ مِمَّا يَترَتَّبَ عَلَيهِ تَعدُّدُ أَفْهَامِهِم لدوَالِّ النَّصّ، ومِنْ هَذَا المُنطَلَقِ يَأتِي دَورُ المُتَلقِّي فِي مُواجَهةِ النَّصّ السَّرْدِيّ؛ لِلكَشفِ عَن دَلَالَاتِهِ، وذَلِكَ مِن خِلَالِ إيجَادِ الاتِّفاقِ والاشتِراكِ بينَ طَرَفيهِ: المُشَبَّهِ، وَالمُشَبَّهِ بهِ، وإِدْرَاك مَصدَرِ ماهيَّتِهما، ومِن ثَمَّ إيجَاد الغَرضِ مِن ذلكَ؛ أيْ يمكنُهَا أنْ تحقِّقَ التَّواصُلَ المنشُودَ بينَ أَطرَافِ الحَدَثِ الكَلَامِيّ(٣).

---

١ – يُراجَعُ، النكت في إعجاز القرآن، الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ٨٠.

٢ – يُراجَعُ، مختارات عبد القاهر الجرجاني: دراسة نقدية في ضوء فكره النقديّ، عايش محمود العايش، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٥م، ٢١.

٣ – يُراجَعُ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، الإسكندرية، منشأة المعارف الجامعية، ١٩٨٣م، ١٧٥.

وَتَقومُ كلُّ عَمليَّاتِ التّواصُلِ في ذلِكَ التَّمثيلِ عَلَى ضَربٍ مِنْ ضُروبِ التَّأَوُّلِ والتَّأويلِ[١] اللَّذينِ يسعَيَانِ إِلَى تَحدِيدِ مَعْنَى النَّصّ، وَالقُدْرَةِ عَلَى سَبْر غَورِهِ بُغيَةَ الوُصُولِ إِلَى دَلَالَاتِ النَّصّ الخَفيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ مُهمَّةَ التَّأويلِ هِيَ تَحقِيقُ فَاعِليَّةِ التَّخَيُّلِ فِي الوَاقِعِ لربْطِ المَعنَى بشَرطِ تَحقُّقِهِ[٢].

ومِنْ ثَمَّ؛ يتحوَّلُ التَّمثيلُ في السَّرْدِ القَصَصيّ للمَثَلِ النَّبَويّ إِلَى آلةٍ لنَسجِ خُيُوطِ الخِطَابِ النّبويّ؛ فيصبحُ الخِطَابُ التَّمثيلِيُّ سِلْسِلَةً مِنَ العَناصِرِ المُترَابِطَةِ التي تَرسمُ الشَّكلَ الدَّلالِيَّ للنَّصِ السّرديّ النّبويّ؛ فَالتَّمثيلُ أداةٌ لتمَاسُكِ النَّصّ وانسِجامِهِ، فتَمثيلُ حَقِيقةٍ مَا يَعنِي إِعَادَةَ صِيَاغَتِها وتَشكِيلِها تَشكِيلًا جَمَالِيًّا مُؤثِّرًا في المتلقّينَ من خِلَالِ عَمَليَّةِ التَّوَاصُلِ الكَلَامِيّ[٣].

وَمِنْ خِلَالِ مَا سَبقَ؛ يُمكِنُنَا القَولُ بأَنَّ مجيء حَدِيثٍ نَبويٍّ شَرِيفٍ عَلَى أَيّ شَكلٍ من أَنْمَاطِ السَّرْدِ القَصَصِيّ فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ إِبلَاغِيٍّ هُو الّذي يبثُّ الحَياةَ في الصُّورَةِ التَّشْبيهِيَّةِ ممَّا يُضْفِي عَلَى هَذهِ الأَنمَاطِ أَلْوانًا مِنَ الحَيوِيَّةِ، تُعمِّقُ إِيحَاءَاتِهَا؛ فَنحنُ لا نَلمَسُ صُورًا تَشبيهِيَّةً مُركَّبَةً، تنحُو نحْوَ المُبالغَاتِ الذِّهنيَّةِ وَالعَقلِيَّةِ، بلْ لَمَسنَا تَركِيبًا أَنيقًا بَسِيطًا، يُمكِنُهُ تَوليدُ إِيحَاءَاتٍ لمْ تَأتِ لغَايةٍ فنيَّةٍ بحتَةٍ؛ مثلَ غايَةِ الأُدباءِ في تزيينِ نُصُوصِهم وتَحسينِهَا، ولكِنَّ التّمثيلَ يأتي هُنا لِهدَفٍ أَسمَى؛ هُو إبرازُ المَعانِي الخفيَّةِ والبَعِيدَةِ في صُورٍ مُجسَّمةٍ؛ منْ أَجْلِ تَوضِيحِ مَا غَمُضَ، وتَقريبِ مَا بَعُدَ، وإِظهَارِ مَا عُقِلَ في صُورَةِ المَحسُوسِ، كَمَا أَنَّهُ أُسلُوبٌ مِنَ الأَسَالِيبِ التَّربَويَّةِ، التي تَحُثُّ النُّفوسَ عَلَى أَفعَالِ الخَيرِ، وتَحَضُّ عَلَى فِعْلِ البِرّ، وتَدفَعُها إِلَى الفَضَائلِ، وتَمنَعُها عنِ المعَاصِي، والإِثْمِ، وَهُوَ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ يُربِّي العُقُولَ عَلَى التَّفكِيرِ الصَّحيحِ، والقِيَاسِ المَنطِقِيّ السَّلِيمِ، وهُوَ مَا يُوازِي في قِيمَتِهِ المَعرِفِيَّةِ المَعرِفَةَ التِي يُقدِّمُها البُرهَانُ، كما

---

١ – يُراجَعُ، أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجانِي دراسة سيميائية، رسالة ماجستير، محمد سالم سعدالله، كلية الآداب، جامعة الموصل،١٩٩٩م،٧٢.

٢ – يُراجَعُ، أسرار البلاغةِ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، جدة –مكتبة المدنيّ، د.ت،٨١.

٣ – يُراجَعُ، جماليَّات الشِّعر العربيّ: دِراسة في فلسفة الجمال في الوعْي الشِّعريّ الجاهليّ، هلال الجهاد، بيروت، منشورات الجهاد، ٢٠٠٧ م، ١٥.

تُقدِّمُها المَعَارفُ الظَّنِّيَّةُ التي يُحقِّقُها الجَدَلُ، والمَعَارِفُ الإقْناعِيَّةُ التي يملُكُهَا فَنُّ الخَطَابةِ خَاصَّةً.

تَسْعَى السَّردِيَّةُ المَثَلِيَّةُ القَصَصِيَّةُ إلَى حَمْلِ المُتلقّين عَلَى طَلَبِ الشَّيءِ المُمَثَّلِ بهِ، أوِ الهُرُوبِ مِنهُ، أَوِ النُّزُوعِ إلَيهِ، أوِ الكَراهِيَةِ لَهُ؛ ومن ثمَّ فَقَد ضَرَبَ النّبيُّ (ﷺ) الأمثَالَ في قَضَايَا إنْسَانيَّةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وأُخْرَوِيَّةٍ مُخْتلِفَةٍ، وفِي مَواطِنَ كثيرةٍ مُتَعدِّدَةٍ.

ومَنْ يتَأمّلْ هَذا السَّردَ القَصَصيّ السَّردِيُّ المَثَليّ النّبوِيّ يَجِدهُ قَدِ انقَسمَ إلى ثَلاثَةِ أَقسَامٍ مُختَلِفَةٍ؛ هِيَ:

١-أَمْثَالٌ نَبَويَّةٌ مُرْسَلَة:

يُقْصَدُ بِهَا الجُمَلُ النَّبَوِيَّةُ التِي أُرْسِلَتْ إرْسَالًا مِن غَيرِ تَصْريحٍ بِلَفْظِ التَّشبيهِ[١]؛ كقَولِ النّبِيّ (ﷺ) الذِي رُوِيَ عَن أبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبعُونَ أَلفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُم إضَاءَةَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ" وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَﷺ: فقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ الأَسَدِيُّ يَرفَعُ نَمرةً عَلَيهِ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اِدْعُ اللهَ أنْ يَجعَلَنِي مِنهُم قَالَ:" اللَّهُمَّ اِجْعَلهُ مِنهُمْ"، ثُمَّ قامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُم، فقَالَ: "سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ"[٢]، وَقَدْ صَارَتْ هذِهِ الجُمْلَةُ "سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ" مثلًا يُضرَبُ.

٢- أَمْثَالٌ نَبَويَّةٌ كَامِنَةٌ:

يُقْصَدُ بِهَا الجُمَلُ النَّبَوِيَّةُ التِي لمْ يُصَرَّحْ بلفظِ: "مِثْل" فِيهَا، وَلكَونِهَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ رَائِعَةٍ فِي الإيجَازِ، يكُونُ لَهَا وَقعُهَا، إذَا نقلَتْ إلَى مَا يُشْبِهُهَا؛ كَقَولِ النَّبِيّ ﷺ الذِي رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" لَا يُلْدَغُ المُؤمِنُ مِن جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتينِ" [٣]

---

١ - يُراجَعُ، المدلولات التَّربويَّة للأمثال القرآنيَّة: دراسة تحليلية،"يزيد حمزاوي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، الجزائر، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م،٢٧.

٢ - صحيح البخاريّ، كتاب الرّقائق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، رقم الحديث١٢٢٧.

٣ - صَحيحُ البُخارِيّ، كتاب الأدَبِ، باب لا يلدغ المؤمن، رقم الحديث(٦١٣٣).

٣- أَمْثَالٌ نَبَوِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ:

يُقْصَدُ بِهَا الجُمَلُ النَّبَوِيَّةُ التِي يُصَرَّحُ فيها بِلَفْظِ" مِثْل" أَو مَا يَدُلُّ عَلَى التَّشبِيهِ؛ وهِيَ نَوعَانِ:

أ- أَمثَالٌ لَيسَ لَهَا الطَّابَعُ السَّرِدِيُّ القَصَصِيُّ:

كَقولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ" عَن أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيَ ﷺقَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَثلُ الَّذِي يَذكُرُ رَبَّهُ، والَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيّ والميّتِ"[١]

ب-أَمثَالٌ لَهَا الطَّابَعُ السَّرِدِيُّ القَصَصِيُّ[٢]:

الأَمْثَالُ القَصَصِيَّةُ هِيَ أَمثَالٌ ضَرَبَهَا الرَّسُولُ ﷺ في شَكْلٍ سَردِيٍّ قَصَصِيّ، أَقْرَبَ إِلَى بِنْيَةِ القِصَّةِ القَصِيرَةِ، وَقَدْ قَصَّها رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المُسلِمِينَ لِلعِظَةِ والعِبرَةِ والدَّعوَةِ؛ إِذْ لَا تَخْلُو أَمْثَالُ هَذهِ الأَمثَالِ النَّبوِيَّةِ مِن عَنَاصِرِ السَّرْدِ القَصَصِيّ المُتّفقِ عَلَيها؛ كَالأَحدَاثِ، والشَّخصيَّاتِ، والحِوَارِ، والمكَانِ، والزَّمَانِ، والبيئَةِ، وهُوَ أمرٌ طبَعِيٌّ ما دامَتْ قَدْ صِيغَتْ سَرْدًا قَصَصِيًّا قَصِيرًا؛ فَفِيهَا تَتَوافَرُ أَغلَبُ عَنَاصِرِ السَّرْدِ القَصَصِيّ إِنْ لمْ يكُنْ جَميعُهَا[٣].

وسَيَدْخُلُ هَذَا النَّمطُ في دِرَاستِنا هذهِ عنِ السَّرْدِ التَّمثيليّ؛ فالرَّسُولُ(ﷺ) يقولُ في مَطلَعِ كُلِّ قِصَّةٍ مِنَ القَصَصِ؛ وهُوَ يَطْرَحُ فِكْرَةً ذِهْنيَّةً؛ كَقَولِهِ (ﷺ): "مَثَلُ، كَذَا، كَمَثَلِ، كَذا ...إِلَخ"؛ وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) يُنشِئُ هذِهِ القَصصَ ابتِداءً لِيَعْرِضَ مِنْ خِلَالِهَا الفِكْرَةَ فِي صُورَةٍ مُجَسَّمَةٍ، وَيُجَسِّمُ هَذَا التَّمثِيلُ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ الفِكرَةَ الذِّهْنِيَّةَ في وَاقِعٍ عَمَلِيٍّ، نَستطِيعُ أَنْ نتَصوَّرَهُ، وَنُدْرِكَهُ مِن خِلَالِ حَرَكَةِ السَّرْدِ؛ فَإِنَّهُ، أَيْضًا، يُضيفُ إِلَى إِحْسَاسِنَا الذِّهْنِيّ إحسَاسًا شُعورِيًّا يتَغَلغلُ في نُفوسِنَا مِن جَرَّاءِ جَوّ القِصَّةِ، وما تُوحِي بِهِ مَواقِفهَا مِن انفِعالَاتٍ وَعَوَاطِفَ[٤].

---

١ - السَّابقُ، كتاب الدّعوات، باب فضل ذكر الله رقم الحديث(٦٤٠٧).

٢ - يُراجَعُ، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف (قراءة أسلوبيَّة)، أسماء الخطاب، علي يونس، مجلة جامعة النجاح . المجلد ٢٧. العدد ٨، فلسطين٢٠١٣م.

٣ - الحَديث النبويّ: مصطلحه، بلاغته، كتبه، محمد لطفي الصَّبَّاغ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ط٤، ١٩٨٢م،١٤٠١هـ.

٤ - يُراجَعُ، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، نقرة التهامي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م،٢٤٧.

وقدْ يَكونُ مِن بابِ استِكمَالِ كَلَامِنَا عَنِ السَّرْدِ التَّمثيليّ في الحَديثِ النَّبويّ الشَّريفِ أنْ نُبيّنَ الأَشكَالَ البلَاغيَّةَ التِي ورَدتْ بِهَا، فقدْ بُنِيَ المَعنَى في أَكثَرِ الأَحَادِيثِ التَّمثِيليَّةِ السَّرْدِيَّةِ عَلَى هيْئَةٍ أُسلُوبيَّةٍ مُتشابهَةٍ، تَظهَرُ وَاضِحَةً في تَمْثِيلِهِ سَرْدًا لَافتًا يَقُومُ علَى المُشَابَهَةِ بينَ مَوقِفَينِ.

وَقَدْ يَأتِي المُشَبَّهُ مُبْهَمًا، لَا يَتَّضِحُ في الكَلَامِ؛ فَتَأتِي صُورَةُ المُشبَّهِ بهِ لتَوضِيحِهِ عَلَى سَبيلِ المِثَالِ لَا الحَصْرِ؛ كَمَا نَجدُ فِي قَولِ النَّبيّ (ﷺ) :"(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كمثَلِ الغَيثِ... إلخْ"، وَكَقَولِهِ (ﷺ): "مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ والوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ استَهَمُوا عَلَى سَفينَةٍ...إلخْ"، وَكَقَولِهِ (ﷺ): "إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ استَوقَدَ نَارًا ... إلخْ"، وهذَا النَّوعُ يأتِي التَّمثيلُ بهِ بِـ "مَثَلُ" فِي أَكْثَرِ الأَحَادِيثِ، وتَكُونُ صُورةُ المُشبَّهِ بهِ قصَّةً تُحْكَى؛ ولِذَا قِيلَ: إنَّ المُشبَّهَ مُبْهَمٌ، ومَا يُوضِّحُهُ هُوَ القِصَّةُ التي بَعْدَهَا وَتَقُومُ عَلَى هَذَا التَّمثِيلِ؛ كمَا رَأَينَا فِيْمَا مَرَّ بِنَا منَ الأَحادِيثِ الشَّريفَةِ التِي اتَّخَذْنَا مِنْهَا أَمْثِلَةً تَوضِيحيَّةً لِهَذا النَّوعِ اللَّافِتِ.

التَّمْثِيلُ السَّردِيُّ بدِخُولِ "مَثَلِ" على طَرَفَي التّشبيهِ:

قَدْ تَدْخُلُ "مَثَل" عَلَى طرَفي التّشْبيهِ الاثنَينِ؛ فَتَلْحَقُ بِالمُشبَّهِ والمُشبَّهِ بهِ؛ كَقولهِ (ﷺ)"مَثَلُ، كَمَثَلِ"، ودخُولِ حَرْفِ التّشبيهِ الكافِ "كـ"، عَلَى "مَثَل" التي تَدْخُلُ عَلَى المشبَّهِ بهِ كَقولهِ (ﷺ)" مَثَلِي، ومَثَل، كَمَثلِ...إلَخ"؛ فتأتِي الصُّورةُ التَّمْثيليَّةُ في هذهِ الأَنسَاقِ المُتعدِّدَةِ الدَّلَالةِ في طَرَفَيها؛ وَبِذلكَ يتَمَتَّعُ التَّمثِيلُ بالقابليَّةِ عَلَى رَسْمِ الصُّورةِ التي تَتألَّفُ مِن طَرَفَينِ؛ هُمَا: "المَعنَى واللَّفظُ.

وَيكمنُ الإبدَاعُ في التَّعادُليَّةِ بينَ الطَّرفينِ؛ فَلَا زِيادَةَ ولَا نُقصَانَ، لَا يَفضلُ المَعنَى شَيئًا عَلَى لَفْظهِ، ولَا اللَّفْظُ عَلَى مَعنَاهُ، وَتَسِيرُ الصُّورَةُ السّرديَّةُ المُتكَوّنَةُ في القصَّةِ التّمثِيليَّةِ بَينَ الأَفئِدَةِ بِعبَقِ أَلفاظِهَا ومَعانِيهَا(١).

وقَدْ وُظِّفَ هذَا النَّوْعُ مِنَ القَصَصِ تَوظِيفًا دِينيًّا وَفَنِّيًّا بوَقتٍ وَاحِدٍ فيَتمثَّلُ الاستِخدَامُ الدِّينيُّ بالتَّعلُّقِ بالنِّتائجِ التِي يُثْمِرُها هَذَا التَّمثيلُ فِيمَا يُؤثِّرُ بِهِ في النُّفُوسِ

١ – يُراجَعُ، الشَّريف الرَّضيّ في ذكراه الألفية، عبد الإله الصَّانع وآخَرُون، بغداد، مؤَسَّسَة آل البيتِ، عليهم السَّلام لإحياء التُّراث، ١٩٨٥م،٢٦٥.

الإنسَانيَّةِ رَغبَةً في المآلِ الحَسَنِ، وَفي الثَّوابِ الجَزيلِ، وأَملًا في الجزَاءِ الأَوفَى، الَّذي لا حُدُودَ لفيْضِهِ، أَو رَهبَةَ مِنَ المَصَائرِ المُخيفَةِ، رُعبًا من النّهاياتِ المُؤْسِفَةِ التِي تَنتظِرُ أَصحَابَ المَعَاصِي؛ لِذَا يُضْفِي الاستِخدَامُ الفنّيُّ فَيضًا مِنَ المَعَانِي عَلَى المُنَاخِ الدّينيّ بمجِيءِ زِيادَةٍ في الإيضَاحِ، ويَظَلُّ هَذا التمثيل عُمْدَةً في التَّصْوِيرِ السّرديّ حتَّى يَعُودَ المُتخيَّلُ مُحقَّقًا، والمُستَبعَدُ قريبًا، والخَفِيُّ وَاضِحًا؛ وذلكَ بإضْفَاءِ عدَّةِ صِفاتٍ عَلَى الشَّيءِ الوَاحِدِ، بغيةَ التَّطلُّعِ إلى مَجموعَةٍ جَديدةٍ منَ الهَيئَاتِ التّصويريَّةِ المُتَداخِلَةِ المُرَكَّبَةِ التِي امتَزجَتْ، وكَأنَّها صُورَةٌ واحِدةٌ، وهيَ، في الحَقِيقَةِ، صُورٌ عِدَّةٌ منَ النَّماذجِ التَّطبيقيَّةِ؛ كَقصَّةِ النَّذيرِ العُرْيان.[1] التي وردت في هذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: "عنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعريّ رضي الله عنه عَنِ النَّبيّ (ﷺ) قَالَ : إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَومًا؛ فقَالَ: يا قومِ إنِّي رأَيْتُ الجَيشَ بِعَينِي وإنِّي أَنَا النَّذيرُ العُرْيَانُ فَالنَّجاءَ النَّجَاءَ فَأَطَاعتْهُ طَائفَةٌ مِن قومِهِ؛ فَأَدلَجُوا فَانطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِم فنَجَوا، وكَذبَتْ طَائفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهم فَصبَّحَهُمُ الجيشُ؛ فأهلَكَهُم، واجتاحَهُم؛ فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعنِي فاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وكَذبَ بمَا جئتُ بهِ مِنَ الحَقّ"[2].

يُجسِّدُ لَنَا التَّشبيهُ التَّمثيليُّ في الحديثِ الشَّريفِ صُورَةً حيَّةً لحَالِ النَّبيّ (ﷺ) في الإنذَارِ ولأَحوالِ السَّامعينَ إنذارَ النَّبيّ (ﷺ)؛ إذْ شَبَّهَ نَفسَهُ (ﷺ) مَعَ قَومِهِ بِصُورةِ النَّذِيرِ العُريانِ، الَّذي تَجرَّدَ دَلَالَةً عَلَى قُربِ الخَطَرِ، فَجَعلَ يهتِفُ فيهم بالجُملةِ التي اِعتَادُوهَا عِنْدَ وقُوعِ أَمْرٍ جَلَلٍ" النَّجَاءَ النَّجَاءَ" بجَامِعِ صُورةِ أَمرٍ أكَّدتْهُ الشَّواهِدُ، وصَدَّقتْهُ الأَدِلَّةُ؛ فَفَازَ مَنْ صَدَّقَ، وهَلَكَ وَخَسِرَ مَنْ كَذَّبَ، فمَعَ الابتدَاءِ بالنَّبرَةِ التَّقريريَّةِ بـ "إنَّ" التِي دَخَلتْ عَلَى الخبَرِ احتِفاءً بهِ؛ إذْ أَرادَ الرَّسُولُ (ﷺ) إشْعَارَ قَومِهِ بِأَهمِّيَّةِ هذَا الأَمْرِ؛ فأكَّدَ بِهَا وبِالضَّميرِ، وبإضَافَةِ "مَثَل" إلَيهِ، ثُمَّ كرَّرَها في المُشَبَّهِ إشَارَةً إلَى الفارِقِ بينَ صِفتهِ (ﷺ) التِي بُعِثَ بِهَا رَحمَةً للبَشَرِ، وبينَ صِفةِ العَذابِ الأَليمِ، ومعَ وجُودِ الاسمِ المَوصُولِ المُبهَم "مَا" الَّذي جَاءَ للدَّلالةِ عَلَى عِظَمِ الأَمرِ الَّذي بُعِثَ مُنذرًا بهِ، وجَلالِهِ.

---

١ – يُراجَعُ، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف (قراءة أسلوبيَّة)، ١٧١١.

٢ – صحيح البخاريّ، كتاب الرّقائق، باب الانتهاء على المعاصي، رقم الحديث:٦٤٨٢.

وَيدُلُّ هذَا عَلَى عِظمِ خَطرِهِ، وفي قولِهِ: "مَا بَعثَنِي": العائِدُ مَحذُوفٌ، والتَّقديرُ: بَعَثَني اللهُ بهِ إليكُم وفِي تَنكيرِ "قَومٍ" دلالةٌ على الشُّيُوعِ"[١].

يُشَكِّلُ كلُّ ذلكَ ما يمكنُ أنْ نُسَمّيَه (مُتواليةً خَطَابيَّةً) قائمَةً عَلَى خَلْفيَّةٍ ضِمْنيَّةٍ مِنَ الإشارَاتِ المُشْتَرَكَةِ بَينَ المُتَلَقّي والنَّصّ، وَيُمثِّلُ هَذَا الاستِهلالُ جُزءًا تكثيفيًّا في سَردِ القِصَّةِ؛ لتَأْتيَ بَعْدَهُ قاعِدةٌ تَفصِيليَّةٌ للبُؤرةِ المَركزِيَّةِ فيهَا، وهيَ بُؤرةٌ تَوَالُدِيَّةٌ؛ فكلُّ جُملَةٍ تُنتجُ مَا بَعدَهَا، ولا رَيبَ في أنَّ ما يُقَوّي أَثرَ الوَاقعِ في المَطلعِ هوَ أنَّ الرَّسُولَ (ﷺ) وَهُو السَّاردُ في القصّ لا يُباشِرُ الوَظِيفَةَ المعروفةَ للسَّارِدِ في الحَكْي، بَلْ يَتجَاوَزُ ذَلكَ؛ فَيستَعْمِلُ ضَميرَ المُتَكَلّمِ إلَى سَاردٍ دَاخلِيٍّ /حِكَائِيّ.

وقَدْ خَوَّلتْهُ هذهِ الصِّفَةُ بِتَبْئِيرِ السَّردِ عَلَى ذَاتهِ دُونَ سِوَاهُ مِنَ الشَّخْصيَّاتِ، أَوِ الأَماكنِ والأَزْمِنَةِ، مُتَّخِذًا مِنْ نَفسِهِ، وما بَعثَ بهِ بُؤرَة لخِطابهِ، نَافِذًا إِلَى مُرادِهِ مِن خِلَالِ قِصَّةِ "النَّذيرِ العُريانِ" والنَّذيرِ العُريانِ؛ مثلٌ سائرٌ عندَ العربِ يُضْرَبُ لِشِدَّةِ الأَمْرِ، ودنُوِّ المَحذورِ، وبراءَة المُحذّرِ منَ التُّهْمةِ.

وَقَدْ كَثُرتْ رِواياتُ هذهِ القِصَّةِ، واختلفَ في تحديدِ أصلِهَا[٢]، وَتدُلُّ هَذهِ الكَثْرةُ عَلَى أنَّ الحَقيقَةَ الأُولَى غَابَتْ مَعَ الزَّمنِ، وبَقِي مدْلُولُها الذِي يَعنِي الإنذَارَ الصَّريحَ، والرَّسُولُ (ﷺ) حِينَ شَبَّهَ بِهَا بَثَّ فِيهَا الحَيَاةَ، وألبَسَهَا مَعَانيَ إسلَاميَّةً جَديدَةً اقترَنَتْ بِهَا؛ فَهُو عَلَى عَلمٍ بأَحوالِ البِيئَةِ العَرَبيَّةِ مِن عَادَاتٍ، ومُعتَقَدَاتٍ، وأَخبَارٍ، كَيفَ لَا وهُو مِن أعرقِ بطونِ العَرَبِ وأعرَفِهِم؟! وهَذَا ما نَجِدُهُ في شَرْحِ اِبنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيّ مشيرا إليه بقولِهِ: " ضَربَ النَّبيُّ (ﷺ) لنفسِهِ ولِمَا جاءَ بهِ مثَلًا بذَلكَ، لِمَا أبدَاهُ منَ الخَوارِقِ، والمُعجزاتِ الدَّالَّةِ عَلَى القطعِ بِصدقِهِ تَقْريبًا لإفهَامِ المَخاطَبينَ بِمَا يَألفُونَهُ ويَعرفُونَهُ" [٣].

---

١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٣١٦/١١.

٢ – مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ٤٨/١-٤٩.

٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، ٣١٧/١١.

ومنْ ثَمَّ؛ فقدْ أَصبَحَ المُتلقِّي مُنجَذِبًا إلَى الأَنَا المُتلفَّظَةِ وإلَى الرِّسَالَةِ المُرسَلَةِ منَ الرَّسُولِ (ﷺ) إليهِ، وبالتَّالي يتحقَّقُ التَّواصُلُ بينَ النَّصِّ والمُتلقِّي فتُؤَلِّفُ هذِهِ الإجْراءَاتُ بلَاغَةً نَصِّيَّةً، تتكَفَّلُ مُباشَرَةً بالجَوابِ عَنْ أَسْئلَةِ النَّصِّ المِحورِيَّةِ:

ما الحَدَثُ؟ أينَ يقَعُ؟ مَنْ يَفعلُهُ؟ مَا الَّذِي جَاءَ بهِ النَّذيرُ العُريانُ؟ متَى سَيَقَعُ؟

لِنَبدأْ أَوَّلًا بصُورةِ النَّذيرِ العُريانِ معَ قومِهِ، ولنَتأَمَّل مَنطقَهُ، وَهُو يتحدَّثُ إلَى قومِهِ، وهُنا يُستخدَمُ الحوارُ جَنبًا إلَى جَنْبٍ مَعَ السَّردِ، بَلْ جَاءَ جُزءًا مِنهُ ومُتمِّمًا لَهُ، فالحِوارُ عَلَى لِسَانِ النَّذيرِ العُريَانِ مَعَ قَومِهِ جسَّدَ لنَا الحَدَثَ وتَطوُّرَهُ؛ إذْ جَعلَهُ حاضِرًا مُشخَّصًا؛ فالحِوارُ في القِصَّةِ السّرديَّةِ النَّبويَّةِ عادَةً ما يقومُ بِتدعِيمِ البِنيةِ السَّرْدِيَّةِ، وإعْطَاءِ هَذَا السَّردِ نَوعًا مِنَ الحيَويَّةِ والإثارةِ فَضْلًا عَنْ كَونِهِ أَدَاةً للشَّخصيَّاتِ في التَّعبيرِ عَن أَفْكارِهَا وآرَائِهَا. والحِوارُ عَلَى لِسَانِ النَّذيرِ العُريانِ جاءَ مُطَابِقًا لشَخْصيَّتِهِ؛ إذْ شَكَّلَ مِفتَاحًا للوصُولِ إلَى جَوهَرِ الحَدثِ، وصِدقِ ما جَاءَ بِهِ، فمِنْ خِلال المُؤكّداتِ التي سَاقَها في جُملَةِ المَثَلِ: أَوَّلُهَا: قولُهُ: "يَا قَومِ" إنّي رَأيتُ الجَيشَ بِعَيني" فقدْ أَكَّدَ أَمْرَ رُؤْيتِهِ بتَقدِيمِ المُسنَدِ إليهِ عَلَى الخَبرِ الفِعليّ "إنّي رَأَيْتُ" ومَا يَقتضِيهِ ذَلكَ مِنْ تَقْويَةِ المَعنَى، وتَقريرِ حُصُولِ الرُّؤيَةِ مِنهُ، وجَاءَ التَّعبيرُ عَن رُؤيةِ الغَارَةِ بالفِعلِ المَاضِي "رَأَيتُ" تَنْبيهًا للنُّفوسِ وإيقَاظًا مِن غَفلتِها، وتَحقِيقًا لِرُؤيَةِ الجَيشِ، مُنذِرًا بالهَلَاكِ المُؤكَّدِ.

ثَانيهَا: الإشَارَةُ إلَى أدَاةِ الرُّؤيَةِ "العَين" لتَصْدِيقِ الخَبرِ بشَاهِدٍ، لَا تُردُّ شَهَادَتهُ؛ فلَا تَكُونُ الرُّؤْيَةُ إلَّا بالحَاسَّةِ الخَاصَّةِ بِها/العَينِ، وإضَافَةُ كَلِمَةِ "العَينِ" إلَى ضَميرِ المُتكَلِّمِ فِيهِ زِيادَةٌ لا تَلزَمُ إلَّا لِهَذا القصْدِ؛ أَعنِي تعلُّقَ عمليَّةِ الرُّؤيَةِ بأداتِهَا، وَتَمتلِكُ العَيْنُ قُدْرَةً عَلَى الوَصْفِ العَمِيقِ، وإبْداءِ الرَّأيِ، فعنْ طريقِ العَينِ نَقلَ النَّذيرُ صُورةَ الجَيشِ المُرعبَةَ بإشارتِهِ إلَى عينيهِ اللَّتينِ، غَدتْا عندَ المتلقّي أداةً لرَسمِ هذِهِ الصُّورِ في تَصوُّرَاتِهم؛ كأنَّ هاتينِ العينينِ نافذتٌ، يُبصِرُونَ الجَيشَ المَعْهُودَ لَديهِم مِن خِلَالِهَا[1].

ثَالثُها: سُبقَتْ جُمْلَةُ المَثلِ بالنِّداءِ بقَولِهِ: "يَا قَومِ إنّي رأَيْتُ..." للفْتِ الانتِباهِ والإشَارَةِ إلَى مَا أَرَادَ قَوْلَهُ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيهَا جُملَةَ "وإنّي أَنَا النَّذِيرُ العُريَانُ" مُؤكِّدًا بالجُملَةِ الاسمِيَّةِ

---

١ – يُراجَعُ، التشبيه" النبوي الشريف دراسة في متن صحيح البخاري، أحمد سعد عبد الرحيم، رسالة ماجستير، جامعة الموصل كلية التربية، ١٩٩٨م، ٨٨.

الدَّالَّةِ عَلَى الثُّبوتِ، وَ"إنَّ" الدَّاخِلَةَ عَليهَا وَتكْرَارَ الضَّمِيرِ، والتَّعريفَ فِي " إنِي أَنَا النَّذِيرُ" اِختِصَاصٌ وَقَصْرٌ للنَّذِيرِ العُريَان عَلَيهِ (ﷺ)، وبِهَذَا القَصْرِ كَأَنَّهُ (ﷺ) يُعِيدُ إلَى الوِجدَانِ هذهِ القِصَّةَ، ويُشِيرُ إلَى أَنَّهُ الأَحَقُّ بِهَا مِن صَاحِبِهَا الأَوَّلِ؛ فالرَّسُولُ أوردَ كَلَامَهُ عَنْ نَفْسهِ في أثناءِ كَلَامِ النَّذيرِ العُريَانِ، فَكَأَنَّهُ كلَّمَ النَّاسَ بِنَفْسِهِ، وفِي ذَلكَ "إشَارةٌ إلَى تَعظِيمِ الهَولِ وكَأَنَّ الهَولَ الَّذي أنذرَ بهِ الأَوَّلُ لمْ يكُنْ هولًا بالنِّسْبةِ إلَى مَا يُنذِرُهُم بهِ، وكأَنَّ الوَصْفَ الحَقِيقيَّ للنَّذيرِ العُريانِ يَجِبُ أنْ يكُونَ لهُ (ﷺ) ولا يُزاحمُهُ فيهِ أَحَدٌ [١]. وقدْ تَحَقَّقَ القَومُ قَدِيمًا مِن صِدْقِ "النَّذِيرِ العُريانِ" فِيمَا أنذرَ، وَكَانَتْ صِفَةُ "العُريَان" صَرخَةً فِي وَجهِ المُكَذّبينَ؛ فَالعُريُ: خُلوُّ ظَاهِرِ الجِسْمِ عَمَّا يَقِيهِ مِن كُلِّ شَيءٍ يُؤذِيهِ كَلَفْحِ حَرٍّ أَوْ قَرْصِ بَرْدٍ ... إلخْ" [٢]، فَهُوَ يَدلُّ عَلَى التَّجرُّدِ والخُلوِّ، وقدْ يَسْألُ سَائلٌ إذَا كانَ هذَا مَدلُولَ "العُرْي" كَيفَ وظَّفهُ النَّبِيُّ (ﷺ) ونَسَبهُ كَصِفَةٍ لهُ بَعدَهُ صِفةٌ مِن صِفَاتِ المُشَبَّهِ بهِ الَّذي جاءَ مُتعَدِّدًا مَا بينَ الإنذارِ والعُرْيِ؟ إنَّ الجَسَدَ، هُنَا، لَيْسَ مُجَرَّدَ مَجمُوعَةٍ مِنَ الأَعْضَاءِ، ولَا سَيلٍ مِنَ الوَظَائفِ، بلْ تحَوَّلَ الجَسَدُ العَارِي إلَى دَالٍّ يَنبثِقُ عَنهُ مَدلُولاتٌ ذاتُ أَبعَادٍ عَمِيقَةٍ فَ "الدَّالُّ" النَّذيرُ العُريانِ لا يُوحِي بالهَيئَةِ الحَاصِلةِ مِنْ ذَاكَ الإنسَانِ الذي قصدَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) مِن حَديثِهِ، إنَّما قَصدَ مِنْ هذَا الدَّالِّ مَدلُولَاتٍ عِدَّةً انطِلاقًا مِنَ الصِّفَةِ الجَامِعَةِ بينَ النَّبِيُّ (ﷺ) "المُشَبَّه" والنَّذِيرِ العُريَانِ المُشبَّهِ بهِ؛ وبِذَلكَ سَجَّلَ الجِسمُ العُرْيانُ حُضُورًا جَدِيدًا إيجَابِيًّا؛ لأَنَّ العُرْيَ تَحَوَّلَ إلى شِيفْرةٍ، تَنقلُ المُتلقِّيَ إلَى عَالمِ المَعنَى فـ "الشِّيفرةُ نسَقٌ مِنَ العَلَاماتِ، تتَحكَّمُ في إنتاجِ الرِّسالةِ؛ ليتَحَدَّدَ مَدلُولُها بالرُّجوعِ إلَى النَّسَقِ نفسِهِ، وإذَا كَانَ إنتاجُ الرِّسَالَةِ هُوَ نَوعٌ مِنَ التَّشفيرِ؛ فَإنَّ تَلقِّي هَذهِ الرِّسَالَةِ، وتَحْويلِها إلَى مَدلُولٍ هُوَ نَوعٌ مِنْ فَكِّ الشِّيفْرةِ، عَنْ طَريقِ العَودَةِ بالرِّسَالَةِ إلَى إطَارِها المَرجِعِيِّ فِي النَّسقِ الأَساسِيِّ؛ فَتَحوَّلَ العُريَ إلَى مَدلولٍ إيجَابيٍّ؛ إذْ جَاءَ دَليلًا عَلَى صِدقِ النَّذيرِ القاطِعِ؛ فيَتنَامَى صِدقُ الإنذَارِ قوَّةً بنَسَقِ التَّأكيداتِ

---

١ – تأمُّلات بلاغيَّة في التَّشبيه التَّمثيليّ في الصَّحيحينِ، فائزة سالم صالح، رسالة ماجستير، مكة المكرمة، جامعة أم القرى،١٩٨٦م،٢٦٢.

٢ – لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، مادة: عري.

"بِعَينِي + إنّي أَنَا + العُريانُ"؛ لتَعْكسَ في نَفْسِ المُتَلقّي فَزعًا يَدْفعُهُ إِلَى الهَرَبِ مِنَ الخَطَرِ المُحدقِ بهِ، ومِمَّا لا شَكَّ فيهِ أنَّ صِفَاتِ النَّذيرِ العُريَانِ إشَارَاتٌ، تُضِيءُ جوانبَ المُشَبَّهِ النَّبِيُّ (ﷺ)؛ فالرَّسُولُ (ﷺ) رأَى مَواطِنَ الخَطَرِ، وأَخبَرَ بِهَا، والنَّذيرُ العُريانُ إشَارَةٌ إِلَى الحُجَّةِ العَقليَّةِ التي جَاءَ يَحملُها (ﷺ) وهيَ حجَّةٌ واضِحَةٌ سَاطِعَةٌ، تَدُلُّ دَلالَةً، لا لَبسَ فيهَا إِلَى أَنَّهُ صَادِقٌ أَمينٌ، ثمَّ يعلُو صوتُ النَّذيرِ مُؤَكِّدًا أَمرَ صِدقِهِ بشَتَّى وَسَائلِ التَّأثيرِ؛ فيَقولُ: "النَّجَاءَ النَّجَاءَ" أيِ اطلُبُوا النَّجَاءَ؛ وهُوَ مَنصُوبٌ عَلَى الإغْرَاءِ، وحَذْفُ الفِعْلِ، هُنَا، يَقْتَضِيهِ المَوقِفُ لأَنَّهُ مَوقِفٌ سَريعٌ ومُؤَثِّرٌ، لا تُؤَثِّرُ فيهِ إلَّا الجُمَلُ المُختَصَرةُ؛ فَشَكَّلَ الحَذْفُ إشَارَةً بلِيغَةً إِلَى أنَّ قَضِيَّةَ الإنذَارِ قضيَّةٌ جَوهَرِيَّةٌ، ومِحْورٌ رَئيسٌ في البنَاءِ القَصَصِيِّ لِلحَدِيثِ، وقدْ وظَّفَ المَصدرَ " النَّجَاءَ" لغرضِ تأْكيدِ الأَمرِ والمُبالَغَةِ فيهِ، وَلَاسِيَّما بتَكرَارِ اللَّفْظِ، وَكَأَنَّهُ لضِيقِ الوَقْتِ وللتَّعْجيلِ بالهُروبِ قبلَ مُداهَمةِ الجَيشِ استَخْدمَ المَصْدرَ بَدَلَ الفِعلِ(١).

وبَعْدَ أَنْ بَلَّغَ هَذَا النَّذيرُ قَوْمَهُ، وأنذَرَهُم بِأُسْلُوبٍ مُؤثِّرٍ، ظَهَرَتْ طَبائعُ النُّفوسِ في استِجابَتهَا للدَّوَاعِي، فقدِ انقسمَ القَومُ بعدَ إنذارِهِ قِسمينِ:

القِسْمُ الأَوَّلُ:

طَائِفَةٌ أطَاعَتْ فَ "أدلَجُوا" فـ "نَجَوا".

القِسْمُ الثّاني:

طَائِفَةٌ كذَّبَتْ فَ "فَأَصبَحُوا" فَ "اجتَاحَهُم".

فالطَّائفةُ الأُولى صَدقَتْ فَورَ إنذَارِها، وهذَا ما تدُلُّ عليهِ "الفاءُ" في "فأطَاعتهُ" "فأدلجوا" أي سَارُوا أوَّلَ اللَّيلِ فَورَ إنْذارِهم حتَّى لا يدهَمَهم العَدُوُّ.

وَتُشِيرُ "الفَاءُ" إِلَى ذلكَ، وتربطُ السُّلوكَ ربطًا مُحكَمًا مُباشِرًا بالاعتِقادِ، وكأَنَّهم مَا إنْ أطَاعُوهُ إلَّا أدْلَجُوا، فالطَّاعَةُ وَحْدَها لا تنجِي، بلْ يَسبقُها التَّصديقُ، والنَّجَاةُ مَوقُوفَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ لِهَذَا قَابِلَ مَعْنَويًّا بينَ "الطَّاعةِ" و "التَّكذيب":

---

١ – تأمُّلات بلاغيَّة في التَّشبيه التَّمثيليّ في الصَّحيحينِ،٢٦٣.

فالطَّاعَةُ: "الانقِيَادُ، وتُقَالُ في الائتِمارِ لمَا أُمِرَ [١]، والكَذبُ: "الأَصْلُ فيهِ في القولِ، ولا يكونُ في القَولِ إلَّا في الخَبرِ دُونَ غَيرِهِ مِنْ أَصنَافِ الكَلَامِ [٢] ويقابلهُ الصِّدقُ: وَهُو "مُطابَقةُ القَولِ بينَ الخَبَرِ والمُخبرُ عنهُ معًا" [٣]؛ فيكُونُ التَّقَابُلُ عَلَى المُسْتَوى التَّطْبِيقِيّ:

نَظَرِيًّا: الطَّاعَةُ← ← ← . تُقَابِلُ : التكذيب

عَمَلِيًّا: التصدْيق← ← ← يُقَابِلُ التكذيب أَيضًا.

وَعَندَ أَخذِ الإمكاناتِ الدَّلاليَّةِ لِكَلِمَةِ "الطَّاعَةِ بالاعتِبَارِ نَلْحَظُ أنَّ الكَلمَةَ المَذْكُورَةَ في أَصلِهَا بَدِيلٌ تَعبيريٌّ لِكَلِمةِ "الصِّدْقِ" مِن خِلَالِ عَلَاقَةِ التَّضَمُّنِ لأَنَّ الطَّاعَةَ تَتَضَمَّنَ الائتِمَارَ لِمَا أُمِرَ، وهيَ مَسبُوقةٌ بالتَّصديقِ، والتَّكذيبُ مُسْتَتبعٌ للعِصْيانِ.

الطَّائِفةُ الأُولَى صَدَّقتْ فَورَ إنْذَارِها؛ فأدلجوا صُورَةٌ سَرِيعَةٌ تتَلَاحقُ أفعَالُها عَاكِسَةً سُرعَةَ القَومِ في طَلَبِ النَّجَاءِ؛ فَكَانَ هَربُهُم إدلَاجًا فِي جَوفِ اللَّيلِ، فَشبَّهَ الرَّسُولُ (ﷺ) مَنْ أَطَاعَهُ، وتبِعَهُ، واتّبَعَ مَا جَاءَ بهِ، واختَارَ لنَفسِهِ أَفْضَلَ طَرِيقٍ بِحَالِ مَن صَدَّقَ ذلكَ النّذيرَ الذِي حذَّرهُ؛ فنَجا، وسَلِمَ مالهُ وعِرضُهُ، ووَجْهُ الشَّبهِ بَينَ الطَّرَفَينِ طَاعَةٌ تَرتَّبَ عَلَيهَا نَجَاةٌ وفَوْزٌ.

أَمَّا الطَّائفةُ الثَّانيَةُ فهِيَ التِي كَذَّبتْ، ورَفَضُوا دَاعِيَ التَّغْيِيرِ، وتَشَبَّثُوا بمَاهُم عَلَيهِ، وَوَقَفُوا في مَكَانِهِم حَتَّى أُهلكُوا، وفِي قَولهِ: "كذَّبَتْ" بقطعِ المَفعُولِ إشَارةٌ إِلَى تَوَافُرِ الغَرضِ عَلَى وُقُوعِ الفِعْلِ مِنَ الفَاعلِ؛ أيْ إثباتَ التَّكْذيبِ لهُمْ، وإنَّ هَذَا مِنْ شَأنِهِمْ، وكَأنَّهُمْ كَذَّبُوا عَلَى غَيرِ تَدبُّرٍ، ومُراجَعَةٍ، ونَظَرٍ؛ ولهذَا قَالَ الرَّسُولُ (ﷺ) في الطَّائفَةِ الأُولَى؛ "فأطَاعتُهُ طَائِفَةٌ مِن قَومهِ"، وذكرَ الفِعلَ مُتعَدِّيًا إِلَى مَفْعُولٍ؛ أَيْ إنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ سَمِعتْهُ، واستَوعبَتْ مَقالتَهُ بِخِلَافِ الطَّائفَةِ الثَّانِيَةِ؛ فَشَبَّهَ (ﷺ) مَن عَصَاهُ، ولَمْ يَتبعْ ما جَاءَ بهِ، وَأَعرضَ عنْ هديهِ بِحَالِ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُصدِّقُوا ذَلكَ النَّذيرَ، وَاستَخَفُّوا

---

١ – لسان العرب، ابن منظور، مادة: أمر.

٢ – السّابق، مادة: كذب.

٣ – السّابق، مادة: صدق.

بأمرَهُ، وأَعرضُوا عَن نُصحِهِ. وَوَجْهُ الشَّبَهِ التَّكْذِيبُ والإِعْرَاضُ الَّذي أَعْقبَهُ الهَلَاكُ فَجْأَةً؛ فَصَبَّحَهُم الجَيشُ فأَهلَكَهُم واجتَاحَهُم، ولا يَخفَى مَا لِغَارةِ الصَّبَاحِ عِندَ العَرَبِ مِنْ إِثَارةٍ لمَشَاعِرِ الفَزَعِ والهَلَعِ، وهُمْ يُسَمّونَ يَومَ الغَارَةِ يَومَ الصَّبَاحِ؛ ففِي هذا الوَقتِ يكُونُ الإِنسَانُ إِمَّا نَائِمًا، أَو قَرِيبًا مِنَ النَّومِ، أَو حَدِيثَ عَهْدٍ بالنَّومِ؛ فَهُوَ الوَقتُ المُلَائِمُ للغَارةِ. وفِي قَولِهِ: " فَأَصْبَحُوا... فَصَبَّحَهُم..." تنَاغُمٌ صَوتِيٌّ وَاضِحٌ؛ مِن حَيثُ التَّجَانُسُ الاشتِقَاقِيُّ، وهذَا النَّوعُ مِنَ الجِنَاسِ يُعَدُّ "أكثرَ أنواعِ الجِناسِ اعتِمَادًا عَلَى الجَرْسِ في تَمييزِ المَعنَى الحَادِثِ باشتِقاقِ اللَّفْظِ" [1].

فـَ "أَصبَحُوا" تُهَيِّئُ السِّياقَ لكَلِمَةِ فـَ "صَبَّحَهُم"؛ فما داموا بَاقينَ في مَكَانِهِم؛ فَحِينَ يُصْبِحُونَ سَوفَ يَجتاحُهُم الجَيشُ صَبَاحًا، ولنْ يبقَى مِنْهُم بَاقيَةٌ، وهَذِهِ نِهَايةُ العِصيَانِ.

فأَفَادَ تركيبُ طرفَي التَّقابلِ في إيجَادِ حتميَّةِ الاستِجابَةِ للنَّذيرِ في المُشبَّهِ بهِ طلبًا للأَمنِ مِن اجتياحِ الجَيشِ، وينْعكِسُ كلُّ هذا في المُشَبَّهِ المُركَّبِ؛ إِذْ يُوجِّهُ القَومَ إلى اتِّباعِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وإِلَّا فَالهَلَاكُ المَحتُومُ، فَكُلَّما وُجِدَ نذيرٌ يُنذِرُ قَوْمَهُ بالغَارَةِ وَجبَتْ عَلَيهِم طَاعتُهُ حتَّى يَنجُوا بأنفُسِهِم [2].

فِي القِصَّةِ لَفْتَةٌ بلَاغِيَّةٌ، تَضَمَّنَها الأُسلُوبُ النَّبَوِيُّ الرَّفيعُ؛ إِذْ آثَرَ الرَّسُولُ(ﷺ) فِي تَعْبيرِهِ الدَّقيقِ، أَنْ يَقُولَ بِجَانبِ الطَّائِفةِ التِي تُحَقِّقُ لَهَا النَّجَاةَ: "أَطَاعَتْهُ طَائفَةٌ" عَلَى أَنْ يقُولَ: "صَدقتْهُ" وآثَر أنْ يقُولَ بِجَانِبِ الطَّائِفَةِ الأُخرَى: "كَذبتْهُ" عَلَى أَنْ يَقُولَ: "عَصَتْهُ" وَلَو أَنَّهُ عَبَّرَ فِي المَوضِعينِ بصَدَّقْتَ وكَذَّبْتَ، أو أَطاعَتْهُ وعَصَتْهُ؛ لكَانَ في الحَالينِ قدْ أَتَى بمُحَسِّنٍ بدِيعِيٍّ؛ حيثُ ذَكَرَ لَفْظَينِ مُتَقابِلَينِ في المَعنَى، لَكِنْ عُمْقَ المَعْنَى وبُعْدَ المَغْزَى الَّذي استَهْدَفَهُ الرَّسُولُ(ﷺ) في التَّعبيرِ عَنِ الطَّائفتينِ، كَانَ أَروَعَ بَيانًا، وأَعظَمَ بلَاغَةً منَ المُحسِّنِ البدِيعِيّ الذِي كانَ يتَحقَّقُ بمُجرَّدِ كَلِمتينِ مُتَقابِلَتينِ.

فَفِي إِيثَارِ الرَّسُولِ (ﷺ) كَلِمَةَ "أَطَاعَتْ" عَلَى كَلِمَةِ "صَدَّقَتْ" ما يُفِيدُ أَنَّ النَّجاةَ لا يَكفِي في تَحَقُّقِها مُجرَّدُ التَّصدِيقِ، بَلْ لابُدَّ أَنْ يقتَرِنَ التَّصدِيقُ بالعَمَلِ والتَّطبيقِ، كَمَا أَنَّ

---

١ – التَّقابل الأُخرويّ في سورة الواقعةِ: دراسة بلاغِيَّة وصفيَّة، بحثٌ منشورٌ في مجلة آداب الرافدين، العدد ١١، ٢٠٠٣م، ٢٠٧.

٢ – السابق، ٧٠.

فِي إيثَارِ الرَّسُولِ (ﷺ) كلِمَةَ "كَذَّبَت" عَلَى كَلِمةِ "عَصَتْ"، مَا يُفِيدُ أنَّ استِحْقَاقَ العِقابِ يَكْفِي فيهِ مُجرَّدُ التَّكذيبِ؛ إذْ لو وُجِدَ مِنَ المُكَذِّبِ عَمَلٌ ظَاهِرِيٌّ بشَيءٍ مِنَ الطَّاعاتِ، وقلبُهُ مُكذِّبٌ، لمْ يُغنِ عَنهُ ذلكَ العَمَلُ شَيئًا، كَمَا هُو شَأنُ المُنافِقِ الَّذي يُبْطِنُ خلَافَ ما يُظْهِرُ، فَمَا أَرْوعَهُ مِن أُسْلُوبٍ بَلَاغِيٍّ رَفِيعٍ أَدَّى الغَرَضَ المَقْصُودَ مِنَ التَّبليغِ والتَّبيينِ بِكَلِمَاتٍ سَهلَةٍ وَاضِحَةٍ وَعِبَارَاتٍ جَزلَةٍ أَصِيلَةٍ أَتمَّ وأَوفَى أَدَاءً.

شَكَّلَ التَّمثِيلُ النَّبوِيُّ بالعِبارَاتِ والجُمَلِ في هَذِهِ القِصَّةِ نَصًّا مُتمَاسِكًا، فَفِي الوَقتِ الَّذي شَرعَ فيهِ الرَّسُولُ (ﷺ) بالتَّلَفُّظِ يُنَاظِرُهُ شُرُوعٌ مَسْرُودٌ لَهُ بالتَّلقِّي يَبدَأُ بِتَصَوُّرِ صُورَةٍ لشَخْصِيَّتِهِ التي شَكَّلَتْ إسنَادَ الحَدَثِ مِنْ خِلَالِ عَقْدِ مُقارَنةٍ بينَ المُشبَّهِ والمُشبَّهِ بهِ؛ فَأَنتَجَ بِنَاءً هَرَمِيًّا شَدَّ المُتلَقِّي إلَى مَعرفَةِ التَّفصِيلَاتِ المُتوَالِدَةِ في النَّصِّ؛ إذْ يُفضِي كلُّ مَقطَعٍ إلَى الَّذي يَليهِ حتَّى يَتِمَّ النَّصُّ مَعَ تَمَامِ الإفهَامِ والتَّأثيرِ عَارِضًا مِن خِلَالِهِ صُورةً فنِّيَّةً مَشوبَةً بدَلَالَاتِ التَّرهيبِ، تَدفَعُ بالمُتلَقِّي إلَى الابتِعَادِ عَنهَا طَالبًا الأَمنَ.

- قِصَّةُ الرَّجُلِ الذي استَوقَدَ نَارًا[١]:

عَنْ أبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: "إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ استَوقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَولَهُ، جَعَلَ الفرَاشَ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التِي تَقَعُ فِي النَّارِ، يَقعْنَ فِيهَا، فَجَعَل يَزَعُهُنَّ، ويَغلبْنَهُ فيَقْتَحِمْنَ فيهَا، فأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وأَنتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا"[٢].

شَبَّهَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) حَالَهُ مَعَ النَّاسِ في حِرصِهِ عَلَى نَجَاتِهِم ومُبالَغتِهِ في زَجرِهِم عنِ الإقدَامِ علَى المَعَاصِي مَعَ حِرْصِهِم الشَّدِيدِ عَلَى الوُقُوعِ فِيهَا مُعرِضِينَ عنِ النُّصْحِ غيرَ مُلتَفِتِينَ للمُنذرِ الذي يُبصِّرُهم بعَاقبةِ إعرَاضِهِم شَبَّهَ حَالتَهُ هذهِ معَ النَّاسِ بحَالِ رجُلٍ أوقدَ نَارًا، فَانجَذبَتِ الفَراشَاتُ والحَشَراتُ إلَيهَا فَسَعَتْ إلَيهَا وأَلقَتْ بِنَفْسِهَا فِيهَا دُونَ هَوادَةٍ وتَبَصُّرٍ، ولكِنَّ الرَّجلَ قدْ منَحَهُ اللهُ تَعَالى العَقلَ والرَّحْمةَ والبَصِيرَةَ، يَعرفُ بنتيجَةَ هَذَا التَّهوُّرِ ونِهايتِهِ؛ لذلكَ يَمنعُهَا، ويَدفَعُها، ويَحولُ بينَها وبَينَ أَنْ تلقيَ بنفْسِهَا، غير أن

١ - يُراجَعُ، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف (قراءة أسلوبيَّة)، ١٧و١٦.

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، باب الانتهاء عن المعاصي حديث رقم٦٤٨٣.

جَهْلَهَا وحُمْقَها يَدْفعُها، واستِهْوَاءُ الضَّوءِ إيَّاهَا يُغْرِيهَا فَيَسُوقُها إلَى أَنْ تُلقِيَ بنَفسِها إلَى التَّهلُكَةِ غَالِبَةً مَن يَمْنَعُها مُنْفلِتَةً مِمَّنْ يَحُولُ دُونَ اندِفاعِها. تَشْبيهٌ في غَايَةِ الرَّوعَةِ، يُوحِي جَمِيعُ عَنَاصِرِهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الصِّفاتِ والدَّلَالَاتِ، التي تُثْرِي الصُّورَةَ، وتَبعَثُ فيهَا الحَيَاةَ والحَرَكَةَ؛ فالقِصَّةُ التَّمْثيليَّةُ هِيَ مِنْ جِهَةٍ صُورَةٌ مَا، ومِن جِهَةٍ ثانيَةٍ إفرازٌ لأثرٍ نفسِيٍّ يُساعدُ عَلَى الاقتِرابِ مِنَ الحَقِيقَةِ المُرَادِ إيصالُهَا، بلْ إنَّ إيرَادَ أو عَرضَ ما يُرادُ إيصَالُهُ عَلَى شَكْلِ قصَّةٍ تَمثيليَّةٍ، يُوَازِي في قِيمتِهِ المَعرفيَّةِ، المعرفةَ التي يُقدِّمها البُرهَانُ، فمَا تَهدفُ إليهِ القِصَّةُ التَّمثيليَّةُ في المَقامِ الأوَّلِ التَّأثير في المُتلقِّي، وحَملُه إلَى طَلَبِ الشَّيءِ المُمَثَّلِ بِهِ أوِ الهُرُوبِ مِنهُ، أَوِ النُّزوعِ إليهِ، أوِ الكَراهَةِ لَهُ، فَضْلًا عَن تَحقِيقِهَا اللَّذَّةَ والتَّخيُّلَ والانفِعالَ؛ فَطَرفُ الصُّورةِ الأُوْلَى "المُشَبَّهُ" مُركَّبٌ مِن "مَثَلِي وَمَثَل النَّاسِ"، وطَرفُ الصُّورةِ الآخَرِ المُشبَّهُ بِهِ صُورةُ الرَّجلِ المُستَوقِدِ المُعَادِلَةُ للرَّسُولِ(ﷺ) وهُو تَركِيبُ مِن عِدَّةِ دَالاتٍ تَشَكَّلَتْ نَتيجَةَ وُجُودِ عَلَاقَةٍ جَدَليَّةٍ بينَ التَّرَاكيبِ المُكوّنةِ لهُ، وهذِهِ العَلَاقةُ قائمَةٌ عَلَى الوَعْي والقَصْدِ، ومَبدَأُ التَّحفيزِ؛ أيْ تَحفيزَ المُتلقِّي لإثارَتِهِ للتَّعرُّفِ إلى صِفاتِ هذا الرَّجلِ المُستوقِدِ النَّارَ بوَساطَةِ الإدرَاكِ العَقْلِيّ للوصُولِ إلى الدَّلالةِ المَركزيَّةِ في النَّصّ، وهيَ بيانُ حِرصِ الرّسُولِ(ﷺ) عَلَى أمَّتِهِ ورَحمتِهِ بهَا مَعَ تَوضِيحِ انجِذَابِ وَسُرعةِ تَوجُّهِ النَّاسِ إلَى المَعَاصِي لمَا لهَا مِن بريقٍ وتَزيينٍ، وهي في حَقيقَتِها سمٌّ زُعافٌ يسُوقُ إلى النَّارِ.

ولا يُمكِنُ الحَديثُ عنِ الالتئامِ والالتِحامِ بينَ مُكوّناتٍ أو أجزَاءِ هذهِ الصُّورَةِ، مالمْ تُذكَرْ أداةُ التَّشبيهِ "الكَافُ" التِي، وإنْ كانتْ تُمثِّلُ الفَاصِلَ أوِ الحاجِزَ بينَ طرَفَي الصُّورةِ [1] فإنَّها فِي الوَقتِ نَفسِهِ مِن وَسائلِ الاتِّصَالِ بَينَهُما، تُقرِّبُ الأَطرَافَ المُتشَابهَةَ بَعضَها مِن بَعضٍ، وتَعمَلُ عَلَى عَقدِ مُقَارنةٍ بينَ طَرفَي التَّشبيهِ لإدرَاكِ أبعَادِ الصُّورةِ، وقَد جمعَ بينَها وبينَ "مَثَل" للدَّلالَةِ عَلَى تَشْبيهِ الهَيئاتِ والأَحوَالِ تَمثِيلًا؛ إذْ لَو دَخَلَتِ الكَافُ عَلَى

١ – يُراجَعُ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، جابر عصفور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ٢١٠.

"رَجُلٍ" لتوهّم بادِئَ الأَمْرِ مُشبّها بهِ أَفرادًا [١] وابتِدَاءُ النَّصّ بـ "إنَّما" أفادَ في قَصْرِ المُشبَّهِ عَلَى المُشَبَّهِ بهِ، وهَذَا يَزيدُ في قُوَّةِ تدفُّقِ المَعَانِي بَينَهما، وقدْ كرَّرَ لَفْظَ "مَثَل" فِي طَرفِ الصُّورةِ الأوَّلِ "المُشَبَّه" الّذي كانَ في اللَّفظِ الأوَّلِ مُضَافًا إلى ياءِ المُتكلِّم التي تُشِيرُ إلَى نفْسِ الرّسُولِ(ﷺ) الكَرِيمةِ؛ لأنَّ الصِّلةَ بينَهُ وبينَ النَّاسِ مِنْ أُمَّتِهِ أَكيدَةٌ لا يَعتريهَا الشَّكُّ مُطْلقًا، كمَا أَنَّ تكرارَ لَفْظِ "مَثَلٍ" في طَرفِ الصُّورةِ الثَّانِي المُشبَّهِ بِهِ إشَارةٌ إلَى التَّفريقِ بينَ المَثلَينِ، وهَكَذَا كَانَ المُشبَّهُ بإجمَالِهِ وتَركيبِهِ تَركيبًا عَقلِيًّا، فتَطلَّبَ المُتلقِّي نفسُهُ بَعدَ هذَا التَّشبيهِ ذِكْرَ التَّفاصِيلَ وإدْخَالَها في نِطَاقِ الحَواسّ، فَضلًا عَنِ اندِفاعِها للبَحثِ عَنِ المَقصُورِ عَليهِ؛ وهُو المُشبَّهُ بهِ الَّذي جاءَ مُركَّبًا حِسّيًّا في قَولهِ " كَمَثَلِ رَجُلٍ استَوقَدَ نَارًا مُعَبّرًا عن صُورةٍ مُتعدّدةِ الزَّوَايَا شَائعَةٍ فِي حَيَاةِ المُتلقّينَ بدَلَالَةِ تَنكِيرِ لَفظَةِ "رَجُلٍ" الذِي اقتصرَتْ مُهمَّتُهُ في القِصَّةِ عَلَى القِيَامِ بالحَدَثِ، فَمِحْورُ التَّرْكِيزِ هُنَا هُو عَلَى مَا تُؤدِّيهِ هذِهِ الشَّخْصِيَّةُ/ الرَّجُلُ مِن عمَلٍ، ومَا تَلْتزِمُهُ مِن مَوْقِفٍ، تمثّلُ بعمليَّةِ الإيقَادِ. وفي كَلمَةِ "استَوقَدَ" دَلَالَةٌ عَلَى الوَقْتِ والجُهْدِ اللَّذَينِ استَنْفَدهُمَا الرَّجُلُ في طَلَبِ إيقَادِ النَّارِ بِأَنْ يُعالجَ إيقَادَهَا، وَسَعَى في تَحصيلِ آلَتِهَا؛ فانتَشَرَ الضَّوءُ حَولَ الرَّجُلِ المُستوقِدِ انتِشَارًا شَمَلَ مِسَاحَةً بَصَرِيَّةً وَاسِعَةً، مَرْكزُها هذهِ النَّارُ، وبالمِثلِ الرَّسُولُ(ﷺ) قدْ بيَّن أسبَابَ الهِدايةِ حتَّى بلغَتْ بِدَلَالَةِ الآفاقِ الفِعلِ "أضَاءَتْ"؛ فمَرْكزُهَا دينُ اللهِ؛ فلَا عُذْرَ لأحدٍ، ثمَّ تتحوَّلُ هَذهِ النَّارِ إلَى صُورَةٍ أُخرَى دَالَّةٍ عَلَى نَارِ الآخِرةِ، ويأتِي جَوابُ الشَّرطِ فِعْلَ شُروعٍ "جَعَلَ الفَراش" فبِمُجرَّدِ مَا أنْ أَتَتِ الإضاءَةُ كانَ شُروعُ الفِراشِ في الوقُوعِ في النَّارِ، وَإنَّ في ارتِباطِ جَوابِ "لَمَّا" بشَرطِهَا بدَلَالةِ إشَارةٍ إلَى اِرتِباطِ المُسبّبِ بالسَّببِ في الوُجُودِ، وبالمِثلِ حَالُ العُصَاةِ حَالَمَا يَرونَ المَعَاصِيَ يَنخَدِعُونَ بلذَّتِها ويَرْتَكِبُونَها، ولا يَخفَى ما فِي اِخْتيَارِ الفَراشِ والجَنادبِ للعُصَاةِ والمُعرِضِينَ لِمَا في هَذهِ العَناصِرِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الضَّعْفِ والوَهَنِ وسُرعَةِ السُّقُوطِ وعَدَمِ التَّحمُّلِ وصُعوبَةِ الرَّدِّ، وفي لفْظِ الفَرَاشِ إيحَاءاتٌ فِي كَلَامِ العرَبِ، فهُم يتَمَثَّلُونَ

١ – يُراجَعُ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين علي السيد، القاهرة دار التراث،١٩٧٣م،١٥٧.

بِهَا في الحُمْقِ والخِفَّةِ؛ لأنَّها تَطرحُ نفسَهَا في النَّارِ[١]، لأنَّها ضَعِيفَةُ البَصَرِ؛ لِذلكَ فَهِيَ حِينَ ترَى الضَّوءَ تَعتقِدُ أنَّهُ كُوَّةٌ، يَظهَرُ مِنْهَا النُّورُ فتَقْصِدُهُ لأَجلِ ذلكَ فَتَحتَرِقُ، وَقِيلَ إِنَّها تَتَضَرَّرُ بِشِدَّةِ الضَّوءِ؛ فتَقْصِدُ إِطْفاءَهُ ولشدَّةِ جَهْلِها تُورِّطُ نَفْسَها فِيمَا لا قُدْرَةَ لَهَا عَليهِ[٢]، والفَراشُ هُمُ العُصَاةُ الذينَ ضَلُّوا عَنِ الجَادَّةِ، فهُم عُمْيُ البَصِيرَةِ ضِعافُ النُّفوسِ أمامَ شَهَوَاتِهم، وقدْ اِقتَرَنَ وَصْفُهم بالفَراشِ بوَصفِ الدَّوابِّ الَّذي سُبِقَ باسمِ الإِشَارةِ "هذِهِ" استِحضَارًا لصُورتِها في خيالِ المُتلقِّينَ، وتَمييزِها أحسَنَ التَّمييزِ في مَوقفٍ، جَعلَها مشبّها بهِ مُحققَة مِن خلَالهَا فائِدَة عُمُوم نَوعِها، إِشَارةً إِلَى تَعدُّدِ أصنَافِ النَّاسِ الذينَ سَيَرونَ النَّارَ، وتتَجَلَّى دِقَّةُ التَّعبيرِ النَّبويِّ في وَصفِ الفَرَاشِ والدَّوابِّ التي تَقَعُ في النَّارِ تَحقِيرًا لِشَأنِهَا؛ إِذْ إِنَّ الفَراشَ لا يُسمَّى دَوَابَّ في العُرفِ، وإِنَّما قصدَ ذِكْر الدَّوابّ لبيَانِ جَهلِهَا.

وَهذهِ الفرَاشُ والدَّوابُّ اتَّخذَتْ وقُوعَها في النَّار دَيدنًا لَهَا بدَلالةِ قولِهِ: "التي تقَعُ فِي النَّارِ" وبالمِثلِ العُصَاةِ الَّذينَ جَعَلُوا اقتِرانَ المَعَاصِي دَيدَنًا لهُم، إِصرارًا مِنهُم علَى ارتِكَابِها كالفَراشِ، يُصِرُّ عَلَى اقتِحامِ النَّارِ، وفي تَكرَارِ الصِّلَةِ في قَولِهِ: "تقَعُ في النَّارِ" يَجْعَلُها جَوابًا لفِعلِ الشُّرُوعِ "تَقَعُ فِيهَا"؛ مِمَّا يُشيرُ إِلَى الاستِسلامِ وعدَمِ التَّدبُّرِ لمَا هُو مُعْتادٌ، والنَّظَر إِلَى ما يَجُرُّهُ مِنَ الرَّدَى[٣].

ويتَّفِقُ بَريقُ ضَوءِ النَّارِ مَعَ طَلَبِ الفَراشِ لضَوءِ النَّهارِ لَيلًا؛ "فَجعَلَ الرَّجُل" هَكَذَا بإِسرَاعِهِ إِلَى إِنْقاذِها لخَوفهِ عَلَيهَا بشُروعٍ، يقابِلُ شُروعَهُم، فكَانَ دَأْبُ الرَّجُلِ ينَزعُهُنَّ ويكفُّ الفَراشَ عَنْ اِتّباعِ مُرادِها باقتِحامِ النَّارِ، وبالمِثلِ رسُولُ اللهِ (ﷺ) كانَ دأْبهُ أنْ يَكُفَّ النَّاسَ عَنْ اتّباعِ شَهواتِهم بارتِكابِهِم المَعَاصِي، لكنَّ الفراشَ والدَّوابَّ "يَغْلبْنَهُ" "فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا"، وهُنا تشَكَّلَتْ لدَينَا صُورَةٌ تَقَابُلِيَّةٌ قائِمَةٌ علَى حركيَّةِ الفِعلِ، وَرَدِّ الفِعلِ ابتِدَاءً منَ الوقُوعِ مُرورًا بالوزعِ والغَلَبَةِ وانتِهَاءً بالقَحْمِ:

---

١ – يُراجَعُ، مجمع الأمثال، الميدانيّ (أبو الفضل أحمد بن محمد ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة،١٩٨٥م،٢٦١/١.

٢ – يُراجَعُ، فتح الباري في شرح صَحيح البخَاريَ، ٤٦٤/٦.

٣ – يُراجَعُ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية،١٥٧.

فَ "وَقَعَ": الوُقُوعُ: السُّقُوطُ [١].

و "وَزَعَ" وزع الإنسان أو غيره يَزَعُه وزْعًا؛ كفه ومنعه وحبسه وزجره ونهاه، وفي خبر عثمان ﷺ إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن [٢].

وَ"غَلْبَ": الغَلَبَةُ: تَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وقَهْرٍ وشِدَّةٍ [٣].

و" قَحَمَ" القَحْمُ: قَحَمَ نَفسَهُ قُحُومًا رَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا مِن غَيرِ رَوِيَّةٍ[٤].

فالسُّقوطُ حَركةٌ هابِطَةٌ، تُوحِي عَلَى مُسْتوَى الدَّلالةِ بِالضَّعفِ، والخَطَر، والمَوتِ، والتَّردّي في الكُفْرِ، أوِ الشِّركِ، وتُولِّدُ هَذهِ الحَركَةُ في المُتلقِّي شُعُورًا بالتَّوتُّرِ والمُقاومَةِ.

الوزعُّ: حَرَكَةٌ صَاعِدةٌ فيهَا شَدٌّ وجَذْبٌ نَحْوَ الأَعْلَى، تُوحِي عَلَى مُستوَى الدَّلالةِ بالقوَّةِ، والعِزَّةِ، وتُولِّدُ هَذهِ الحَرَكَةُ في المُتلقِّي شُعُورًا بالرَّاحَةِ في النُّزُوعِ إلَى الأَعلَى لمَا في ذلِكَ من التَّسَامِي أوِ العَظَمَةِ.

الغَلَبَةُ: حَركةٌ وَفقَ المَشْهَدِ المَعرُوضِ، فيهَا شِدَّةٌ مُنتَهَاهَا السُّقوطُ.

القَحْمُ: حرَكَةٌ هَابِطَةٌ أَيْضًا:

مَسَارُ الحَرَكَةِ← الوُقُوعُ← الوَزْع← الغَلَبَةُ← القَحْمُ

الأَخْذُ بالحَجزِ= استِعَارَةٌ شَبَّهَ فيهَا حالَهُ (ﷺ) في مَنعِهِ الأمَّةَ عَنِ الهلَاكِ بِحَالَةِ رَجُلٍ أَخَذَ بِحُجَز صَاحِبِهِ الّذي يكَادُ يَهْوِي فِي مَهْلكَةٍ حَرَكَةٍ فِيهَا جَذْبٌ نَحْوَ الأَعْلَى فَيُصبِحُ مَسَارُ الحَركَةِ الصَّاعدَةِ مُقاوَمَةَ الجَذْبِ نَحوَ الأَسْفَلِ؛ فَيُشَكِّلُ قُطْبًا مُضَادًّا للحَركَةِ؛ يُوحِي بالحيَاةِ مُقَابِلَ المَوْتِ؛ لأَنَّ هذِهِ الحَركَةَ تتَطَلَّبُ جُهْدًا أَقْوى وأَقْسَى وأَعنَفَ مِنَ الجُهدِ المَبْذُولِ في الانحِدارِ أوِ السُّقُوطِ = النَّتِيجَة "تَقتَحِمُونَ فيهَا" ←السُّقُوطُ "الأَسفَل" حَرَكَة هَابِطَة.

فَثُنائِيَّةُ الأَعلَى/ الأَسفَل أَضْفَتْ بُعْدًا بَصَرِيًّا عَلَى الأَفْكَارِ المُجَرَّدَةِ وجَعلَتْها مَفهُومَةً؛ إِذْ نَتيجَةُ تِلكَ الدَّوَالِّ الحَرَكِيَّةِ هِيَ عَدَمُ مُفارقَتِهِم للمَعاصِي، فمُستَوَى التَّمثيلِ في الحَديثِ

---

١ – يُراجَعُ، مجمل اللغة، ابن فارس (أحمد أبو الحسين ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢ ،١٩٨٦م،١٣٣/٦.

٢ – يُراجَعُ، لسان العرب مادة وزع.

٣ – يُراجَعُ، مجمل اللغة،٣٨٨/٤.

٤ – يُراجَعُ، السّابقُ،٦١/٥.

النّبويّ الشَّريفِ ينطَلقُ مِن مَظهرِ التَّجسيدِ الحركِيّ المُمتدّ، بحَيثُ نجِدُ حَركَةَ المَعنَى المُجرَّدِ، وَقَدِ اكتَسَتْ صُورةً مَحْسُوسَةً مُتحَرّكَةً، وذَاتَ اتّسَاعٍ وَاضِحٍ وامتِدَادٍ مَلْحُوظٍ، تَكْتمِلُ بِهِمَا آفَاقُ الحَركَةِ مَعَ اكتِمَال ملَامِحِ الصُّورةِ. (١).

فَالمُتلَقّي عِندَما يَعقِدُ مُقارَنَةً بينَ الأَعلَى / الأَسفَل" بآليَّةِ التَّضَادِّ سَيُعْطِي لنَفسِهِ مَجَالًا للتَّفكِيرِ بَينَ الشَّيئينِ المُتقَابِلَينِ ليَأتِيَ بَعدَ ذَلكَ الحُكمُ علَى أيّهِما أَحَقّ بِالاتبَاعِ والاختِيَارِ؛ "فثُنائيَّةُ "الأَعْلَى الأَسْفَل" لهَا تَأثِيرٌ بَالِغٌ في تَفكِيرِ الإِنْسَانِ؛ فَكُلُّ مَا هُوَ إيجَابِيٌّ، يَتَّجِهُ نَحوَ الأَعلَى، وكلُّ مَا هُوَ سَلبيٌّ يَتَّجِهُ نَحوَ الأَسفَلِ، وكُلُّ ذَلكَ يَرتبِطُ بِعقليَّةِ المُتلقّي، ويَنْبثِقُ مِن تَفاعُلِهِ معَ المُحيطِ الفِيزيائِيّ، ونَحنُ عِندَما نقولُ: إنَّ حَركَةَ النَّزعِ والأَخْذِ بالحُجَزِ = أَعلَى، والقَحْم، والسُّقُوط = الأَسْفَل، لمْ نَقْصِدْ بِالعُلُوّ والانخِفاضِ الرَّاجِعِ إلَى خَطّ مُسْتوَى النَّظَرِ بقَدْرِ مَا هُوَ رَاجِعٌ إلَى مُستوَى حَركيَّةِ هذهِ الأَفعَالِ في التَّعبيرِ عَنِ الحَالَينِ المُتقابِلينِ: "الفِعْلِ"، وَرَدِّ الفِعلِ" بالنِّسْبَةِ لبَعضِهِمَا، فَبَينَ الحَالينِ تقَابُلٌ حَرَكِيٌّ؛ أَحَدُهُما يَنسحِبُ نَحوَ الأَعلَى، والآخَرُ يَبتَعِدُ عَنْ هذَا المُستوَى؛ فَضلًا عَن حَركيَّةِ الأَفْعَالِ المُضَارِعَةِ "يَقَعنَ، بِحُجَزِهِنَّ، يَغلبنَهُ، يَقتَحِمْنَ، تَقتَحِمُونَ " التِي تبعثُ الرُّوحَ في النَّصّ بدَلَالتِها عَلَى الاستِمرَارِ، واستِحضَارِ المَوقِفِ، فالوَصْفُ بالمُضَارِعِ يُصوِّرُ المَاضِي والمُستَقْبلَ في صُورَةِ الحَاضِرِ المَاثِلِ، وَحَالَ ذلكَ الرَّجُلِ الَّذي يُغالبُ، ويَمنعُ هَؤلاءِ وَتلكَ المَخلُوقاتِ مِن عَدمِ السُّقُوطِ، والتَّهافُتِ في هَاوِيَةِ المَعْصِيَةِ"(٢).

قِصَّةُ العِلْمِ والهُدَى(٣):

عَنْ أبي موسى قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه (ﷺ) :إِنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعلْمِ كَمَثَلَ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضًا فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَربُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعَوا.

---

١ – يُراجَعُ، الصورة الفنية في الحديث النبوي، ياسوف، أحمد زكريا، ترجمة وتحقيق: محمد سعيد رمضان البوطي، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ٣٦.

٢ – يُراجَعُ، السابق نفسه.

٣ – يُراجَعُ، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف (قراءة أسلوبيَّة)، ١٧.

وأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللَّه، وَنَفَعَه مَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْسًا وِلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ–متفقٌ عَلَيهِ"(١).

جَاءَ التَّشْبِيهُ التَّمْثِيلِيُّ بِشَكْلٍ قَصَصِيٍّ، شُبِّهَتْ فِيهِ الصُّورةُ الذِّهنِيَّةُ الحَاصِلَةُ مِنْ بَعث رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) بوَحْيِ اللهِ، وانقسَامِ النَّاسِ حَولَ مَا جاءَ بِهِ ما بَينَ مُؤمِنٍ بِهِ، عامِلٍ بِكُلِّ مَا فيهِ حَسْبَ طَاقتِهِ، وعَالِمٍ بشَرعِهِ، ومُؤمنٍ مُقصَّرٍ عَالمٍ قلِيلِ العَمَلِ، وقسْمٍ كَافرٍ مُعْرِضٍ عَنِ الحَقِّ، لا يَعلَمُ، ولا يَعمَلُ، وقدْ أَوضَحَتْ هذهِ القِصَّةُ هذهِ الأَقْسَامَ بالصُّورةِ الحِسِّيَّةِ الحاصِلةِ مِنْ نزولِ الغَيْثِ على الأرضِ، والانقِسَامِ إِلَى أَقْسَامٍ ثلَاثَةٍ:

الأوّلُ: أَرضٌ نقيَّةٌ قبلَتِ المَاءَ وارتَوَتْ: فَأَنبَتَتْ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ النَّاسُ مِنَ الكَلأِ = النَّافِعُ المُنتَفِعُ=العَالِمُ العَامِلُ المُعَلِّمُ غيرَهُ. والعُشبِ الكَثِيرِ.

الثاني: أَرضٌ أَجَادِبُ، أَمسَكَتِ الماءَ؛ فَنفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ؛ فَشَربُوا جميعًا، وَسَقَوا أنعامَهم، وَزَرَعُوا زروعَهم، ولَكِنْ لَمْ يُنبِت الكلأَ ولَا الشَّجرَ= النَّافِعُ غَيرُ المُنتَفِعِ= الجَامِعُ لِلعِلمِ الَّذي يشغَلُ زَمانَهُ فيهِ، المُعلِّم لغَيرِهِ، لكنَّهُ لَم يَعْملْ بِعلمِهِ، ولمْ يَنتَفعْ بِهِ.

– الثالث: قِيعَانٌ مُنخَفِضَةٌ لا تُمسِكُ شيئًا منَ المَاءَ، ولا تُنبِتُ نوعًا منَ الكلأ؛ فأضَاعتِ الماءَ؛ فلَمْ تُنبتْ، كَمَا أنَّهَا لَمْ تمْسِكْ= غيرُ النَّافِعِ وغَيرُ المُنتفِعِ = مَن يَسمَعِ العِلمَ؛ فَلَا يَحفَظُهُ، ولا يَعْمَلُ بِهِ، ولَا يَنقلُهُ لِغيرِهِ.

وإِذَا مَا أَردنَا، هُنَا، أنْ نَتَعرَّفَ علَى صِفَاتِ الأَصْنَافِ الثَّلَاثةِ منَ النَّاسِ عَلَينَا أنْ نَنْطَلِقَ منَ "المكَانِ" فَهُو فِي الحَديثِ حَامِلٌ لمَعْنًى أَبْعدَ، وحَقِيقةٌ مِن حَقيقتِهِ المَلْمُوسَةِ؛ فقَدْ شَكَّلَ المكانُ الافتراضِيُّ، بنيَةً حيَّةً مُؤثّرةً لَهَا خُصوصِيَّتُها الفِكريَّةُ، والمَكانُ الذِي نَعْنيهِ لَيْسَ المَكَانَ المُفرغَ، إنَّما المَكَانُ الفاعِلُ الذِي يُشكِّلُ مَركَزَ الحَدثِ، ويَمنَحُ ما يُقابلُهُ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ الثَّلَاثَةِ هُوِيَّةً، فَضْلًا عَنْ كَونهِ يُقدِّمُ حَالَةً مِنَ الإِحسَاسِ البصَرِيِّ للمُتلقِّي كَي يتَمَكَّنَ مِنْ تَصْويرِ هَذهِ الأنواعِ أو الأَصنافِ الثَّلَاثةِ، فيُحْدِثُ نَوعًا مِنَ التَّرَابُطِ، أَوِ الاتِّصالِ الذِّهنيِّ بينَ النَّصِّ بمَا يُثيرُهُ فِي نفُسِ المُتَلقِّي مِنْ رَهبةٍ، أو رَغبَةً؛ إذْ إنَّ

---

١ – الحديث متفق عليه: صحيح البخاري، الحديث رقم (٧٩)، وصحيح مسلم: الحديث رقم (٢٢٨٢).

المُتلقِّيَ يَعتمِدُ علَى الرَّبْطِ بَينَ حَيِثيَّاتِ المَكَانِ الافتراضي المَوصُوفِ؛ بِكُلِّ مُدركاتِهِ الخَارجِيَّةِ، وكُلّ ما يَعيهِ منْ معَالمِ الدُّنيَا أَيضًا.

ويتَفاوَتُ البَشَرُ، كَمَا هُوَ مَعرُوفٌ، فِي مُسْتوَى الإدْراكِ الذِّهنيِّ للأَشياءِ التَّكوينيَّةِ أَوِ الحِسِّيَّةِ التِي يُصَوِّرهَا النَّصُّ النَّبويُّ حَولَ مَوقفِ النَّاسِ مِنْ دِينِ اللهِ تعالَى، وَتَختلفُ دَرَجَاتُ الاستِيعابِ للمَضَامِينِ الفكْريَّةِ مِن فَردٍ إلَى آخَرَ تَبعًا لِحُدُودِ النَّظَرِ، وحَجْمِ الرُّؤيَةِ للمَكَانِ؛ لَذَا جَاءَ النَّصُّ النَّبويُّ مُخاطبًا العربَ بأُسلُوبٍ مُنْسَجِمٍ مَعَ مَفهُومَاتِهِم وأَحوالِهِم، ومُتنَاولِ إدرَاكِهِم وحسِّهِم، وكلُّ ما وَردَ فِيهِ علَى سَبيلِ التَّقريبِ.

واستَخْدَمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) التَّمثيلَ؛ إذْ جَعَلَ الصُّورَةَ البَيَانيَّةَ، وعَناصِرَها مُقتبسَةً مِنَ البِيئَةِ التِي عَاشَ فيهَا الصَّحَابَةُ، رُضْوانُ اللهِ عَلَيهِم؛ فالمتلقِّي يَعْرِفُ قيمَةَ الغَيثِ والعُشبِ والكَلَأِ، فتَركَتْ هَذهِ الصُّورةُ أَثَرًا عَمِيقًا في النُّفُوسِ، وجلَّت لَهُم المَعْنَى كَامِلًا.

وَقَدْ جَاءَتِ القصَّةُ عَلَى ثلَاثةِ أَقْسَامٍ:

القِسْمُ الأَوَّلُ: مَثلُ": إِنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعِلْمِ كَمَثَلَ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضًا فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ"

سَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي عَرْضِ النَّصّ طَرِيقَ الإِجْمَالِ الَّذي يَتْبعُهُ تَفْصِيل؛ إِذْ جَاءَ الإجمَالُ لإِثَارةِ الانتِبَاهِ، وإِدْرَاكِ التَّفصِيلِ، مِمَّا يَدُلُّ علَى تَماسُكِ النَّصّ وَتَرابُطِهِ، لَاسِيَّمَا الرَّبْطُ بَينَ الهُدَى والمَاءِ؛ لأَنَّهُما ضَروريَّانِ لحيَاةِ الإنسَانِ [1]. وقدَ قدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) الأَهمَّ "الهُدَى" عَلَى المُهِمّ "العِلْمِ"؛ وذَلكَ لأَنَّ الإِسلَامَ يَصِلُ بالمَرْءِ إِلَى أَعْلَى مَراقِي الصَّلَاحِ والفَلَاحِ، وجَاءَ عَطْفُ العِلْمِ عَلَى الهُدَى مِن عَطْفِ المَدْلولِ عَلَى الدَّليلِ؛ لأَنَّ الهُدَى هُوَ الدَّلالةُ المُوصِّلَةُ للمَقْصِدِ/ العِلْمِ؛ وهُوَ المَدلُولُ[2].

ومِنْ ثَمَّ يَنطَلِقُ بِهِ إِلَى مَا يُسَانِدُ فِكْرَهُ إِزَاءَ تخَرُّصَاتِ الاتِّجَاهَاتِ الفِكْرِيَّةِ الأُخرَى، وقدْ عَبَّرَ عَنِ الخَيرِيَّةِ العَالَمِيَّةِ التِي يَحملُها الإِسلَامُ مِن خِلالِ تَشبيهِهِ بالغَيثِ الكَثيرِ؛ إِذْ

---

١ – يُراجَعُ، الحديث النبويّ: مصطلحه بلاغته كتبه، محمد لطفي الصباغ، ط٤. بيروت، المكتب الإسلاميّ، ١٩٨٢م،٨٤–٨٥.

٢ – يُراجَعُ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلانيّ(أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك)، أبو العباس، شهاب الدين، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م،١/١٧٨.

شَبَّه مَا أُعْطِيَ الرَّسُولُ (ﷺ) مِن أنواعِ العِلمِ والمَعرفَةِ والوَحْي الخَفِيّ والجَلِيّ بالمَاءِ النَّازِلِ مِنَ السَّماءِ في التَّطْهِيرِ والنُّزُولِ مِنَ العُلُوّ إلَى الأَسْفلِ، وجَاءَ اختيارُ الغَيْثِ؛ لأنَّ الغَيثَ يأتِي، غَالبًا، مُلَائِمًا ونَافِعًا للأرضِ والنّاسِ والزّرعِ ؛ فَهُوَ غَيرُ مُؤذٍ، ومِن صِفَاتِ هَذَا الغَيثِ أيضًا "الإشباعُ"؛ إذَا أَصَابَ أَرضًا؛ مِمَّا يُفيدُ التَّبليغُ، وقَدْ عَبَّرَ بالقَولِ "بَعثَنِي... أَصَابَ" دَلَالةً عَلَى الحرَكةِ ونِهايتِها مِنَ اللهِ تَعالَى إلَى بَاطِنِ القلُوبِ المُجسّمَةِ في عمليَّةِ الغَيثِ، وفي تنكيرِ كلمةِ :"أَرضٍ" دَلالةٌ علَى تَنوُّعِ الأرَاضينَ، وانتفاعها على كلّ حالٍ؛ فالغيثُ يُغيثُ كلّ أرضٍ مهما اختَلَفَتْ أَنوَاعُهَا(١).

القِسْمُ الثَّانِي: "فَكَانَ مِنهَا طَائِفةٌ طَيّبةٌ، قَبِلتْ المَاءَ فأنْبتَتْ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وَكَانَ مِنْها أَجادِبُ أَمسَكتِ المَاءَ، فنفَعَ اللهُ بها النَّاسَ فشَرِبُوا منْهَا وسَقَوا وزَرَعُوا. وأَصَابَ طَائِفة منها أُخرَى، إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِك مَاءً ولَا تُنبِتُ كلأً".

فهَذا القِسْمُ اِمتِدَادٌ للقِسْمِ الأَوَّلِ فِي تَكرَارِ "المَاءِ" لكنَّهُ جَاءَ، في الحَديثِ النَّبويّ الشَّريفِ هُنَا، نَتيجَةً مِن حَيثُ تقبلُ الأَرْضُ، وجَمْعُهُ لِنَفعِ النَّاسِ والحَيوَانِ مُتَدرّجًا عَلَى سبيلِ التَّصْعِيدِ مِنَ الأَعلَى إلَى الأَسفَلِ في التَّقبُّلِ وعَدَمِهِ؛ كما نَجدُ في كلّ العَوَالِمِ منْ "إنسَانٍ، وحَيوانٍ، ونَباتٍ"، ويَضمُّ هَذا القِسْمُ صُورًا ثلاثًا مستقلَّةً، يمكنُنا تَوْضِيحُهَا عَلَى النّحْوِ الآتي: (٢)

- الصُّورَةُ الأُولَى: هيَ صُورَةُ الأَرْضِ التِي قَبِلَتِ المَاءَ؛ فَأَنبتَتَ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثيرَ؛ إذْ تَحَوَّلتِ الأَرْضُ إلَى إنسَانٍ، يَقبَلُ ويَرفُضُ، وبَعدَ تنَاسِي التَّشبيهِ، وادّعاءِ أَنَّ المُشبَّهَ هُوَ فَرْدٌ مِن أَفرادِ المُشبَّهِ بهِ استَعَارَ الرَّسُولُ (ﷺ) في نفسِهِ لفظَ "الإنْسَانِ للأرْضِ، ثُمَّ حَذَفَهُ ودَلَّ عَلَيهِ بِذِكْرِ بَعْضِ خَوَاصِّهِ؛ وهُوَ "القَبولُ" الَّذي أثبَتَهُ للأَرضِ علَى سَبيلِ الاستِعارَةِ المَكنِيَّةِ، وفِي هَذَا مُبَالَغَةٌ في نَقَائِهَا وسُرعَةِ الاستِجابةِ وامتِصاصِها للمَاءِ، ولَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ إنَّ التَّشخيصَ امتدَّ إلَى عمليَّةِ الإنباتِ؛ إذْ أَسندَ الإنباتَ

١ - يُراجَعُ، من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين، السعودية، دار عكاظ،١٩٨٢م،١٠٦.
٢ - يُراجَعُ، شرح صحيح مسلم للنّوويّ،٤٨/١٥.

إلَى ضَميرِ الأَرضِ، والحَقيقةُ أنَّ المُنبتَ هُوَ اللهُ ﷻ، وذلكَ للمُبالغةِ في نَقَاءِ الأرضِ وجَودتِهَا كَأنَّها هِيَ التي تُنبتُ.

– الصورة الثانية: ويُقابلُ هَذِهِ الصُّورَةَ صُورَةُ الأَرضِ الأَجَادِبِ التي أَمسكَتِ المَاءَ. ومِنَ البَلَاغَةِ في هَاتَينِ الصُّورَتَينِ إيجَازٌ؛ هوَ إيجَازُ الحَذفِ؛ فقَدْ حذَفَ مِنَ الأَوَّلِ ما أثبتَ نظيرهُ في الثَّاني، ومِنَ الثَّانِي ما أَثبتَ نَظيرهُ في الأوَّلِ، ففِي قولهِ" فكَانَ مِنْها نقيَّةٌ قبلَتِ المَاءَ؛ فَأنبتَتِ الكَلَأَ والعُشبَ الكَثيرَ"؛ أيْ "فنفَعَ اللهُ بهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوا، وَزَرَعُوا ولكِنَّهُ حَذَفَ هذهِ العبارةَ في تلكَ الفِقرةِ لوجُودِ نَظيرَتِها في الفِقرةِ التِي تلِيهَا؛ وهِيَ: "وكَانَتْ مِنهَا أَجَادِبُ أَمْسكَتِ المَاءَ، فنفَعَ اللهُ بهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوا، وَزَرَعُوا وحَذَفَ منهَا قولَهُ: "فلمْ تُنبتِ الكلَأَ والعُشْبَ" لوجُودِ نَظيرَتِها في الفِقرةِ الأُولَى؛ وهيَ قَولُهُ: "فأَنبتَتِ الكَلَأَ والعُشبَ الكَثِيرَ"

– الصورة الثالثة: وهَاتَانِ الصُّورَتانِ تُشكّلانِ تَقابُلًا مَعَ صُورَةِ "إنَّما هيَ قِيعَانٌ، لا تُمسِكُ مَاءً، ولا تُنبتُ كَلَأً" فهَذهِ القِيعانُ لَا تُمسِكُ، ولا تُنبِتُ؛ فالوَصفُ بالنَّفْيِ الَّذي لا يكُونُ إلَّا مَعَ التَّكرِيرِ بالعَطْفِ يكُونُ فيهِ النَّفْيُ أَوقعَ مِنَ الإثباتِ؛ لأنَّهُ يُميّزُ لَهُ الوَصفَ وتَوكِيدَهُ؛ فقَولُهُ "لَا تُمسَكُ مَاءً" يُوهِمُ أَنَّهَا قَبِلَتِ المَاءَ؛ فَأَنبتَتِ الكَلأَ، والعُشْبَ؛ فدفَعَ هذَا الإيهَامَ بقَولِهِ: "ولا تُنْبِتُ كَلَأً"؛ وهُوَ مَا يُسَمّيهِ البلاغيونَ بالاحتِرَاسِ أو الاحتِرَازِ. والاِحتِرَازُ هُوَ الاحتِرَاسُ عَنِ الخَطأِ في تَأْدِيَة المعْنَى المرَادِ[1].

وجاءتْ هَذهِ الجُمْلَةُ تَوكِيدًا لقَولِهِ إنَّما هيَ" قِيعَانٌ"؛ ولهَذَا بينَ الجُملتَينِ كمَالُ الاتّصَالِ ومن ثمَّ فصلَ بينَهُما، وكمَالُ الاتّصَالِ هو أن يكونَ بين جُملتينِ اتّحادٌ تامٌّ، وامتِزَاجٌ مَعنوِيٌّ، حتَّى كأنَّهُمَا أُفرِغَا في قالبٍ وَاحِدٍ؛ لذا تُسَمَّى هذِهِ العَلَاقةُ بينهُما بكمَالِ الاتِّصَالِ[2]؛ ومِمَّا زادَ المَوقِفَ شِدَّةً القَصرُ بِـ "إنَّما"؛ أيْ ما هِيَ إلَّا قِيعَانٌ، وعبَّر بـ "إنَّما" لأنَّهَا لا تَجِئُ إلَّا فِيمَا هُوَ مَعْلُومٌ، تُسْتَعمَلُ فِيمَا يَعلَمُهُ المُخاطَبُ، ولا يذكرُهُ؛ لأنَّ

---

١ – يُراجَعُ، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م،١/٤٩.

٢ – يُراجَعُ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٣م،٨٣.

المُقابلَ لهَا في المَثلَ هُوَ "قلوبُ الكُفَّارِ"(١)؛ يَعنِي أَنَّ كَوْنَهَا قِيعانًا لا تُمسكُ مَاءً، ولا تُنبتُ كَلأً أَمْرٌ مَعْلُومٌ، لا يُنكِرُهُ أحدٌ بالمثلِ، وأَنَّ كَونَهَا لَم تَقبلْ هُدَى اللهِ تعالى أَمْرٌ مَعْلُومٌ، لا يُنكِرُهُ أحدٌ ولا جدالَ فيهِ، فَقَد خَتَمَ اللهُ ﷻ عَلَى قُلُوبِهِم وعَلَى سَمعِهِم وَعَلَى أبصَارِهِم غِشاوةً؛ فلمْ يرفَعْ لَهُم رَأسًا، ولَمْ ينالُوا شَرفَ الانتِسَابِ إلَى دين الإسلَامِ؛ وهُو الدِّينُ القَائمُ عَلَى الهُدى والعِلْمِ.

ذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ ونفَعَهُ مَا بَعَثني اللهُ به فَعلِمَ وعَمِلَ، ومثَلُ مَنْ لمْ يَرفَعْ بذلكَ رأْسًا ولَمْ يقبَلْ هُدَى اللهِ الَّذي أُرسِلْتُ بهِ".

ونَجِدُ، هُنَا، التَّعبيرَ الدّقيقِ بالفِعْلِ " فَقُهَ" للدَّلالةِ عَلَى ما يَجِبُ أَنْ يكُونَ عَليهِ المُسلِمُ منَ الفَهمِ العَميقِ الدَّقيقِ لدِينِ الإسلَامِ، وقَدْ وَظَّفَ الرَّسُولُ (ﷺ) لَفْظَةَ " فَقُهَ"؛ إِذْ صَارَ الفِقهُ لَهُ سَجيَّةً خاصَّةً بهِ، وطَبيعَةً متّصلَةً بتَكوينِهِ، ويُرادُ بِهذِهِ اللَّفظَةِ الفهمُ، ويُمدَحُ مَنْ يتَعَلَّمُ أُمورَ دِينهِ، ولا يَخلُو منَ التَّعجُّبِ بهِ (٢)

ويَتَجَلَّى هَذَا في تَكْرارِ لَفْظِ "مثَل مَنْ" بالعَطْفِ، وبابتِدَاءِ هذَا القِسْمِ باسمِ الإشَارةِ "فذَلكَ" فيهِ استِحْضَارُ المَشَاهدِ السَّابقَةِ، وتَفسِيرُ الأَمْرِ العَقليّ بالمُجَرّد والمُحَسّ، ويُقوّي هذَا المَعنَى التَّقابلُ بينَ الفِقهِ والعِلْمِ.

والكِنَايَةُ الحَركِيَّةُ في قولهِ: "ولمْ يَرفَعْ بذَلكَ رَأْسًا"؛ فالرَّأسُ أَشرفُ أَعْضَاءِ الجَسدِ، وفيهِ ما يُميّزُ الإنسَانَ عَنْ باقِي المَخلُوقاتِ؛ وهُو العَقلُ، وفِي ذَلكَ إِشَارةٌ إلى الكُفَّارِ؛ لأَنَّهُم في سُباتٍ عَميقٍ؛ فقَدْ أَخلَدُوا إلَى الأَرْضِ، مِمَّا يُؤَكّد أنَّ التَّفقُّهَ فيهِ عُلوٌّ، وترفُّعٌ. وفِي الجَهلِ والكُفْرِ هُبُوطٌ وتدَنٍ(٣).

وَجَاءَتْ جَمِيعُ صُورِ الحدِيثِ الشَّرِيفِ قائِمَةً فِي بِنَائِها التَّركِيبِيّ عَلَى اللَّفّ والنَّشرِ؛ إِذْ قُسِّمتْ الأَقْسَامُ تَقسِيمًا حَسَنًا، ثمَّ أُتْبِعَ كُلُّ قِسمٍ ما يَخُصُّهُ؛ فذَكَرَ اِختِلَافَ الأَراضِي في تَقَبُّلِ المَاءِ، ثمَّ أَتبَعَهَا باختِلَافِ النَّاسِ في قَبُولِ الهِدَايَةِ، فهُوَ تَمثِيلٌ لأَنَّ

---

١ – يُراجَعُ، عمدة القاري شرح البخاري، العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢١ – ٢٠٠١م،١١٨/٢.

٢ – يُراجَعُ، صحيح البخاري،٨٣.

٣ – يُراجَعُ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،١٧٩/١.

وَجهَ الشَّبهِ فيهِ هُوَ الهَيئةُ الحاصِلَةُ منْ قبولِ المَحلِّ/الأَرْضِ، لِمَا يردُ عليهِ مِنَ الخَيرِ معَ ظُهُورِ أَمَاراتِهِ وانتِشَارِها عَلَى وَجهٍ عَامٍ؛ وَهُو الثَّمَرُ، ولا يَخفَى أنَّ هذهِ الهَيئةَ مُنتزَعَةٌ مِن أُمُورٍ مُتعدِّدَةٍ، ويَجُوزُ أَن يُشبّهَ انتفاعَهُ بقبُولِ الأَرْضِ المَاءَ ونَفعِهِ بإنبَاتِهَا الكَلَأَ والعُشْبَ، والأَوّلُ أَجْزلُ؛ لأَنَّ في الهَيئاتِ المُركباتِ مِنَ الوَقعِ فِي النُّفُوسِ مَا ليسَ في المُفرَدَاتِ في ذَواتِها مِن غيرِ نظَرٍ إلى تَضَامّها ولا التفَاتٍ إِلَى هَيئَتِها.

وقدْ تَراوحَتِ الجُمَلُ في الحَديثِ الشّريفِ بينَ الطُّولِ والقِصَرِ، لإفادَةِ تَوزِيعِ الفِكرةِ وتَقسِيمِها وغَلبَةِ الجُملِ الفِعليَّةِ المُوائمةِ للتَّفاعُلِ البَشريّ معَ الإسلَامِ، والغَالبُ عليهَا الزَّمنُ الماضِي الَّذي يُشِيرُ إِلَى حتميَّةِ التَّحقِيقِ، فَضْلًا عنِ التَّوازي الحَاصِلِ بينَ" لا تُمْسِكُ"، و"لَا تُنْبِتُ"، و"قَبِلَتِ المَاءَ"، و"أَمسَكَتِ المَاءَ"، والتَّقَابُلُ في كُلِّ ذَلِكَ شَكَّلَ طَابعًا مُوسيقيًّا لتَقسِيمِ الفِكرةِ؛ مِمَّا يَرسمُ إصرَارًا عَلَى المَعنَى.

والبناءُ في سَردِ الحديثِ الشَّريفِ من نوعِ السَّردِ الدَّائرِيّ المُغلقِ، الذِي يَنتَهِي بالمَعنَى الَّذي بَدأَ بهِ فقَولُهُ:" مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ" فاتِحَةُ النَّصّ، ثمَّ ختَمَهُ بقَولِهِ: هُدَى اللهِ الَّذي أُرسِلْتُ بِهِ؛ فَجَاءَ النَّصُّ مُحقِّقًا وِحدَتَهُ العُضوِيَّةَ مِنَ البِدَايَةِ إِلى النِّهايَةِ مُحَقِّقًا تَرَابُطَ الجُزئِيَّاتِ خِلَالَها بِصُورةٍ غايَةٍ في الإِحكَامِ، مُحقِّقًا فيهِ حُسْنَ الابتِدَاءِ، وَحُسْنَ الخِتامِ؛ فقَدْ جلَّى هَذَا المَثَلُ الرَّائِعِ المَعَانِيَ الخاصَّةَ بالانتفاعِ بالهُدَى والعلْمِ جَلَاءً مُؤثِّرًا، وأَضَافَ إِلَى الحَقيقةِ الفِكريَّةِ بمَدلُولَاتِها الثَّلاثَةِ صُورةً، تُثيرُ المُتلقِّيَ مِن خِلَالِ المُقارَنَةِ بينَ المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ بهِ مُتَّخِذًا الإِدرَاكَ البَصَريَّ للمَعنَى طَريقًا للوَصْفِ.

فهدَفَتْ هذهِ العَمَلِيَّةُ إِلَى مُقارنَةٍ تَفَاضُليَّةٍ بينَ الأَصنَافِ الثَّلاثةِ، تَسِيرُ المُقارنةُ هذهِ وفقَ ثَلاثَةِ خُطُوطٍ:

– تحسُّسُ الفوَارقِ المَكَانيَّةِ بينَ القِسمينِ الأوّلِ والثّاني، وما يُقابلُها في القِسْمِ الثَّالثِ.

– الصِّراعُ النَّفسِيُّ للمُتلقِّي ما بَينَ الاستِجَابةِ إِلَى ما بُعثَ بهِ الرَّسولُ (ﷺ)، أو عدمِ الاستِجَابةِ.

– الصِّراعُ العقَائِدِيُّ؛ فالتَّقابلُات المَكَانيَّةُ بينَ القِسمينِ الأوّلِ والثّاني، وما يُقابلُها في القِسْمِ الثَّالثِ ينزعُ نُزوعًا كَبيرًا إِلَى التَّباعُدِ تَعبيرًا عنْ هذَا التَّفاوُتِ بين الأَصنَافِ الثَّلاثةِ.

وَيمَثِّلُ هذَا التَّفَاوُتُ الطَّابعَ الأَساسيَّ والجوهريَّ في الطَّرفينِ؛ وهُو صِراعٌ يعتمدُ البرهنةَ مِن خِلَالِ عَرضِهِ بطَريقةِ القِصَّةِ التَّمثيليَّةِ للتَّأثيرِ في المُتلقِّي، ففَتقَ الأَذهانَ لفِهْم تبايُنِ المَواقفِ وأسبَابهِ استِنبَاطًا مِنْ تبَايُنِ أَحوالِ الأَرْضِ مَعَ الغيثِ وأسبابهِ.

- خُلاصَةُ القَولِ:

يُحِيلُ ارتبَاطُ البلَاغَةِ النّبويّةِ بالنَّصّ السَّرديّ إلَى وَظِيفةٍ جَدِيدَةٍ للبلَاغةِ؛ هِيَ تَحليلُ النَّصّ، بدلَ إنتاجِهِ مِن خِلَالِ تَتبُّعِ الطَّريقِ الذي يَسلكُهُ الخِطَابُ مِن النَّصّ عَبرَ الفَهمِ إلَى الفِعلِ؛ فقدِ اعتَمدَ الرَّسُولُ (ﷺ) في دَعوتهِ عَلَى رِكيزتَينِ أَسَاسِيَّتينِ؛ هُما:

الإقناَعُ العَقْلِيُّ، وإيقاظُ الشُّعُورِ والعَاطفَةِ لدَى المُخاطَبينَ، فاستعَانَ عَليهِ الرَّسُولُ (ﷺ) بكلِّ الوَسائلِ والأَساليبِ المُمكنَةِ للوصُولِ إلى الإقنَاعِ ومِن هذهِ الوَسائل، وَانتهَاجُ النَّهْجِ القَصَصِيّ للْوُصُولِ إِلَى هَذيْنِ الهَدَفَينِ؛ وذلكَ لمَا تتمتَّعُ بهِ القصَّةُ النَّبويَّةُ من تَجْسِيمِ المجرَّداتِ والمَعنويَّاتِ، وعرضِها بِصُورةٍ مَحْسُوسَةٍ وَملمُوسَةٍ، يَرتَضِيها العَقلُ والمَنطِقُ، ويَأنَسُ لهَا الشُّعورُ والوِجدَانُ، فضْلًا عمَّا تتركُهُ في نفُوسِ المتلقِّينَ من آثارٍ نفسِيَّةٍ عَميقَةٍ، قلَّ أنْ يصِلَ إلى مِثلِها لَونٌ آخَرُ مِن ألوانِ البيَانِ؛ فجَاءَ استخدامُ الرَّسُولِ (ﷺ) للقصَّةِ النّبويَّةِ أُسلُوبًا مِنْ أَسَاليبِ الدَّعْوةِ، يُحَمِّلها قِيمَ الإِسْلَامِ ومَعانيَهُ، ويُربِّي عَلَيها الصَّحابَةَ مِنَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ للإِسلَامِ، ويُوجِّهُهم إلى استِلهَامِ هذَا الدِّينِ عَقيدَةً في الفكرِ والتَّصوُّرِ، وطَريقَةً في السُّلُوكِ.

وقَدْ جاءَتِ القِصَّةُ التَّمثيليَّةُ في الحَدِيثِ النَّبويّ الشَّرِيفِ نَمَطًا أُسلُوبيًّا لخِدمةِ المشبَّهِ، وتوضِيحِهِ، وتقريبِهِ مِنَ الأَذْهانِ، فكَانتِ الصِّفةُ الجَامِعةُ بينَ طَرَفَي التَّشبيهِ أَقوَى في المُشبَّهِ بهِ مِنَ المُشبَّهِ فَضْلًا عَن قيامِهَا عَلَى التَّشخِيصِ العَيَانيّ المُعتَمدِ عَلَى التَّقديمِ الحِسّي للصُّورِ الذِّهنيَّةِ، الَّذي مِن شَأنهِ إثارَةُ نَوعٍ مِنَ التَّوكِيدِ في نفُوسِ المُتلقِّينَ، فَضْلًا عَنْ تَزويدِهِ بالقُدرَةِ الحَقيقِيَّةِ لإثارَةِ انفِعالاتِهِ.

لَقَدِ استَخدَمَ الرَّسُولُ (ﷺ) الوَصفَ الاستِدلَاليَّ بالسَّردِ القَصَصِيّ التَّمثيليّ وَسِيلَةً تَقْدِيريَّةً لإثبَاتِ الحَقائقِ، بتَشبيهِ الخَفيّ بالجَلِيّ والغَائبِ بالشَّاهدِ، فَفِي التَّمثِيلِ إقَامَةُ دَلِيلٍ عَلَى ادِّعاءٍ مَا؛ مِن أَجْلِ البَرْهنَةِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الادِّعاءِ، وتَقْديرِ ثبُوتهِ للمُتلقِّي بأُسلُوبِ الإثباتِ المَادّيّ الَّذي يُخَاطِبُ العَقلَ؛ أيْ أنَّ لِلسَّردِ القَصَصِيّ التَّمثيليّ وَظيفَةً استِدلَاليَّةً استِكْشَافيَّةٌ؛ إِذْ يتِمُّ الانتِقالُ في التَّشبيهَاتِ مِنْ صُورَةٍ بَسِيطَةِ التَّركيبِ إِلَى صُورةٍ أَكثَرَ

تَركِيبًا وتَعْقِيدًا تدَرُّجًا في إِقنَاعِ النَّفسِ وتلَازُمًا مَعَ تكاثُفِ الأَحوالِ، وَوفْرةِ المَعَانِي مُتَّخِذًا الرَّسُولُ (ﷺ) الجَدَلَ القَائِمَ عَلَى الثُّنَائيَّاتِ المُتقَابلَةِ سَبيلًا فِي وَصفِ الأَحْدَاثِ في القِصَّةِ عَن طَرِيقِ عَرْضِ فِكْرَتَينِ مُتَضَادَّتينِ؛ فينتجُ للعَقلِ فُرصَتهُ لتَدبُّرِ البلَاغَةِ المُتأتّيةِ مِن هَذَا التَّقابلِ، وإبْرازِ ما فِيهَا مِن جَوانبَ تَخفَى عَنِ المُتلقِّي فِيمَا إذَا مَا عُرِضَتْ بطَرِيقَةٍ سَرديَّةٍ مُباشِرةٍ؛ لأنَّ جمَالَ الشَّيءِ الحَسَنِ يَظْهَرُ حينَ يُقابَلُ بالضِّدِّ القَبيحِ.

.**********

.**********

.*****

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعد:

فقد سعتْ هذهِ الدّراسَةُ إلَى الكشف عن ملامح سردية في البيان النبوي، وقَدِ اِنتهَت إلَى ما يَأْتِي مِن نَتائجَ:

- جَاءَ الرَّمْزُ في سَردِ الحَدِيثِ الشّريفِ مِنَ الوَسَائِلِ المُثِيرةِ غيرِ المُباشِرَةِ التي وظَّفَها الرَّسولُ (ﷺ) لإقْناعِ المُتلقّينَ، وَإمْتاعِهِم في الوَقتِ نفسهِ، لِتَحقيقِ الأَغْرَاضِ الدِّينيَّةِ المُتغيَّاةِ من الخِطَابِ النّبويّ. ومِنَ المَعْلُومِ أنَّ الرَّمْزَ مِنْ أَقْدَمِ وسائلِ الإقناعِ البلاغيّ التي كَانَ يَستعِينُ القُدامَى بها للتَّعْبيرِ عَنْ تَجَارِبِهِم، والتَّأثيرِ في المُتلقّينَ لها، وَقارِئِيهَا.

- في تناولنا سمات الشَّخصيَّاتِ في الحَديثِ الشّريفِ، وجدنا أنّهُ قد حرَّكَ السّردَ شَخْصيَّات متقابلة تكوّنَ مِن خِلَالِهما المَشْهدُ السَّرديُّ في هذَا الحَديثِ النَّبويّ.

- استخدم البيان النبوي كثيرًا من أنماط السرد، وعرضها في سياق بلاغي خلاب يبعث الحياة في الصورة، ويضفي عليها ألوانًا من الحيوية.

- جاء كثير من البيان النبوي في صورة السريات الحديثة (القصة القصيرة) ووفَّر لها عناصر البناء القصصي، ونفذ من خلالها إلى قلوب المتلقيين.

- مِن خَلَالِ الدَّرسِ البيَانِيّ للصُّورِ الجُزئيَّةِ ودَلَالَاتِها فَقَدْ أَسْهَمَ التَّعبِيرُ الاستِعَارِيُّ؛ أعني الاستِعاراتِ بأَنواعِها وَمَرامِيها وأَغْراضِها وتَراكيبِها اللُّغويَّةِ المُختلفةِ في تَشخيصِ المعَانِي وتجسيدِهَا. والاستعارةُ خاصَّةً بوصفِها عَلَامةً لِسَانيَّةً سِيميائيَّةً كانَ لها حضورٌ لافتٌ؛ فقدْ جسَّدتِ الأبعادَ التَّركيبيَّةَ والدَّلاليَّةَ والتَّداوُليَّةَ في خِطَابِ السّفينَةِ في الحَديثِ النَّبويّ الشّريفِ عَن طَرِيقِ تَجسيدِ المَعَانِي المُجَرَّدَةِ في مَحْسُوسَاتٍ.

- المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ:
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلانيّ(أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك)، أبو العباس، شهاب الدين، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.
- أسرار البلاغةِ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، جدة –مكتبة المدنيّ، (د. ط، د. ت).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعيّ، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠١م.
- – أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، عبد العزيز خواجة، دمشق، دار الحوار،٢٠٠٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.
- بنية الشكل الروائيّ "الفضاء، الزَّمن، الشَّخصية"، حسن بحراويّ، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربيّ، ١٩٩٠م.
- – بنية العقل العربي محمد عابد الجابري .بيروت .لبنان، ط ٦، ٢٠٠٠م.
- بنية النَّصّ السَّرديّ من منظور النقد الأدبيّ، حميد لحمدانيّ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٥م.
- تأصيل البلاغة، عبد الملك بومنجل، الدار البيضاء، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، ٢٠١٥م.
- تأمُّلات بلاغيَّة في التَّشبيه التَّمثيليّ في الصَّحيحينِ، فائزة سالم صالح، رسالة ماجستير، مكة المكرمة، جامعة أم القرى،١٩٨٦م.

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذيّ، المباركفورى (أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت ١٣٥٣هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٣م.
- تحليل الخطاب السَّرْدي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، عبد الملك مرتاض، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،١٩٩٥م.
- التشبيه" النبوي الشريف دراسة في متن صحيح البخاري، أحمد سعد عبد الرحيم، رسالة ماجستير، جامعة الموصل كلية التربية، ١٩٩٨م.
- التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي صبح، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.
- التَّقابل المكاني الأُخرويّ في سورة الواقعةِ: دراسة بلاغِيَّة وصفيَّة، بحثٌ منشورٌ في مجلة آداب الرافدين، العدد ١١، ٢٠٠٣م.
- جماليَّات الشِّعر العربيّ: دِراسة في فلسفة الجمال في الوعْي الشِّعريّ الجاهليّ، جمال هلال، بيروت، منشورات الجهاد، ٢٠٠٧م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٣م.
- الحَديث النبويّ: مصطلحه، بلاغته، كتبه، محمد لطفي الصَّبَّاغ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلاميّ، ط٤، ١٩٨٢م.
- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين علي السيد، القاهرة، دار التراث،١٩٧٣م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، جدة، دار المدني، ط٣،١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

- الزمكانية وبيئة الشعر المعاصر، حنان محمد موسى حمودة، أحمد عبد المعطي حجازي نموذجًا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
- باط، ترجمة: عبدالحميد بورايو، الجزائر، دار التنوير،٢٠١٣م.
- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، نقرة التهامي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م.
- السِّيميائيَّات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٢م.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.
- الشَّريف الرَّضيّ في ذكراه الألفية، عبد الإله الصَّانع وآخَرُون، بغداد، مؤَسَّسَة آل البيتِ، عليهم السَّلام لإحياء التُّراث، ١٩٨٥م.
- شعرية الخطاب السَّرْديّ(دراسةٌ)، محمد عزام، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م.
- صوت الشاعر الحديث، محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، جابر عصفور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الصورة الفنية في الحديث النبوي، ياسوف، أحمد زكريا، ترجمة وتحقيق: محمد سعيد رمضان البوطي، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.
- عتبات النصّ السَّرْديّ الحديث، محمد سيّد عليّ عبدالعال، طنطا، دار النابغة،٢٠٢٢م.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني(ت٤٦٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني ت ٣٦٥هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.

- عمدة القاري شرح البخاري، العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢١ – ٢٠٠١م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (محمد محمود بن أحمد)، القاهرة، دار الفكر، د. ت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني (د. ط، د. ت)..
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، الإسكندرية، منشأة المعارف الجامعية، ١٩٨٣م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ت ١٠٣١هـ)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ،١٣٥٦هـ.
- في نظرية الرِّوَايَة "بحث في تقنيات السَّرْد"، عبد الملك مرتاض، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م.
- القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف (قراءة أسلوبيَّة)، أسماء الخطاب، وعلي يونس، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية، المجلد ٢٧، عدد٨،٢٠١٣م، ١٧٠٦.
- لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- مباحث التشبيه والتمثيل في تقسيم التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، أُطروحَة دكتوراه، كلية اللغة العربيَّة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م.
- مجمع الأمثال، الميدانيّ (أبو الفضل أحمد بن محمد ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة،١٩٨٥م.
- مجمل اللغة، ابن فارس (أحمد أبو الحسين ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢ ،١٩٨٦م.

- مختارات عبد القاهر الجرجاني: دراسة نقدية في ضوء فكره النقديّ، عايش محمود العايش، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، الأردن،١٩٨٥م.
- مدخل إلى نظريات الرِّوَايَة، بيير شارتيه، ترجمة: عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١م.
- المدلولات التَّربويَّة للأمثال القرآنيَّة: دراسة تحليلية،"يزيد حمزاوي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، الجزائر، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي (علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا ت١٠١٤هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، القرطبي (أبو العباس؛ أحمد بن عمر بن إبراهيم)، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، بيروت، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٧ - ١٩٩٦م.
- من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين، السعودية، دار عكاظ،١٩٨٢م.
- النكت في إعجاز القرآن، الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.
- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، مراجعة: محمد سعيد العربان، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط١، ١٩٤١م.